مِن لَطائفِ النَّظْمِ القُرْآنِي
فِي الْكَشْفِ عَن الْمَعَانِي
في سُورَةِ (الْمُلكِ) :
دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيّةٌ

إعداد

الدكتور: أحمد حسين مهدي الاكرت
مدرس التفسير وعلوم القرآن
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقـــــاهرة

١٤٤١هـ = ٢٠١٩م

(مِن لَطائفِ النَّظْمِ القُرْآنِي فِي الْكَشْفِ عَنِ الْمَعَانِي في "سُورَةِ الْمُلكِ" دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ)

أحمد حسين مهدي الأكرت

قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر الشريف

البريد الإلكتروني:alakrat٣٢١@gmail.com

ملخص البحث

تدور هذه الدراسة حول ما في إعجاز القرآن الكريم من النظم الفريد الرابط بين أفصح الألفاظ وأصح المعاني، وكيف أنّه مترابط البناء محكم التراكيب، لا تفاوت في أسلوبه، وتطبيق ذلك علىٰ سورة الملك والتأمل فيما اشتملت عليه من آيات الروعة والإعجاز.

فهي تهدف إلىٰ إبراز وجوه الإعجاز القرآني، وخاصة علم النظم: الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، من خلال التحليل لمحتويات النص والكشف عن العلاقات والروابط؛ حتىٰ تظل العقول دائمًا متطلعة إلىٰ القرآن، ناظرة فيه، وهذا من شأنه أن يقيم في نفوس المسلمين حياة متجددة، وتعتبر سورة الملك مثالًا حيًّا لتوفر إعجاز القرآن الكريم؛ لما فيها من المقاصد التي تعالجها السورة الكريمة، والمعاني التي وردت للإبانة عنها، وعن متانة الأداء ودقته وروعته في التعبير عن هذه المعاني.

ولذلك كان منهج هذا البحث وصفيًّا تطبيقيًّا يجمع بين التأصيل والتطبيق؛ للبحث عن مظاهر التلاؤم والائتلاف بين أجزاء النظم في السورة.

وقد توصلت الدراسة إلىٰ مجموعة من النتائج، منها: أنّ النظم القرآني مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة إعجاز القرآن، فالقرآن الكريم جاء بأحسن الألفاظ، وأبدع النظم والتأليف، وأحسن المعاني، وأنّ الجانب التطبيقي خير معين علىٰ الاستفادة من الأمور النظرية، وأن سورة الملك قد تعددت مقاصدها، وتلاحمت أغراضها، وارتبطت أجزاؤها.

وتوصي الدراسة بجملة من التوصيات من أهمها: إبراز وجوه الإعجاز القرآني، وخاصة علم النظم، والتعويل علىٰ الجانب التطبيقي في ذلك ومعرفة كيف بدئت السورة؟ وكيف ختمت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟.

الكلمات الافتتاحية: النظم القرآني، المفردة القرآنية، الجملة القرآنية، سورة الملك، مناسباتها، مقاصدها.

Of the wonders of the Qur'anic systems in revealing meanings In "Surat al-Mulk" An Explanatory Study

Ahmed Hussein Mahdi Al-Akert
Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys, Cairo, Al-Azhar University.
Emaill : alakrat٣٢١@gmail.com

Research Summary

This study revolves around the unique systems of miracles of the Holy Qur'an that link the most eloquent words and the most correct meanings, and how it is interconnected in a well-structured structure, there is no difference in its style, and the application of that to Surat al-Mulk and meditation on what it included in the verses of splendor and miracle.

It aims to highlight the aspects of the Qur'anic miracle, especially systems science: which highlights secrets and jokes in the style of the Qur'an, by analyzing the contents of the text and revealing relationships and ties; So that minds always look forward to the Qur'an, looking at it, and this would establish in the souls of Muslims a renewed life, and Surat al-Mulk is a vivid example of the availability of the miracle of the Holy Qur'an; Because of the purposes that the Holy Surah deals with, the meanings that were mentioned to express them, and about the durability, accuracy and magnificence of the performance in expressing these meanings.

Therefore, the methodology of this research was descriptive and applied combining rooting and application. To search for aspects of compatibility and coalition between parts of the systems in the surah.

The study reached a set of results, including: that the Qur'anic systems are closely related to the issue of the miraculousness of the Qur'an, so the Holy Qur'an came in the best terms, the most creative systems and authorship, and the best meanings, and that the applied side is a certain good to benefit from theoretical matters, and that Surat al-Mulk has multiple purposes , And their belongings joined together, and its parts were linked.

The study recommends a number of recommendations, the most important of which are: highlighting the aspects of the Qur'anic miracles, especially systems science, and reliance on the applied side in that, and knowing how the Surah began? How did you conclude? How did its corners converge and embrace؟

The opening words: Quranic systems, Quranic singular, Quranic sentence, Surat Al-Mulk, its occasions, its purposes.

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب، ساطعًا تبيانه قاطعًا برهانه، ميسَّرًا مع إعجازه تلاوته، لا نهاية لأسرار علومه، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

وبعد ....

فالقرآن الكريم معجزةٌ متجددةُ العطاء، قائمةٌ بحجة الله البالغة في كلّ زمان، وتظهر جلائل حكمته في كلّ مقام، فيرىٰ النّاس منها أتمّ ما يناسب أحوالهم في كلّ عصر، فهو دعوةٌ وحجةٌ، دعوة في معانيه، حجّةٌ في ألفاظه، وكفىٰ الدعوة شرفًا أن تكون حجتها معها، وكفىٰ الحجّة شرفًا أن لا تنفصل الدعوة عنها، فهو قائمٌ في فَمِ الدنيا شاهدًا بإعجازه، يتجدد كلّما جدّ في حياة الناس جديدٌ.

وإذا دققتَ النّظر تجد القرآن منطويًا علىٰ وجوه من الإعجاز كثيرةً، منها: حُسْنُ تأليفه، وانسجام كلماته المؤتلفة المتوافقة، وفصاحة ألفاظه الجَزْلة الرائقة، فهو في لفظه بلغ الغاية القصوىٰ، وفي معناه معانٍ جليلة فائقة العظمة؛ لما فيه من صولة المتكلم وجلالته وبهائه وإشراقه، وحلاوته وطلاوته، وأَخْذه بالقلوب، ولذته للنفوس، بحيث لا تملّ منه علىٰ كثرة التكرار، ولا يخلق علىٰ مرّ الدوام، فصار القرآنُ معجزًا؛ لأنّه جاء بأحسن الألفاظ، وأبدع النظم والتأليف، وأحسن المعاني من الدعاء للتوحيد، وطاعة الربّ المجيد، والتحليل والتحريم، والعِظَةِ والتقويم، والإرشاد إلىٰ محاسن الأخلاق، والزجر عن مساوئها، واضعًا كلّ شيءٍ في موضعه، ولذا أحببتُ أن أقف وقفة متأنية مع إعجاز القرآن في نظمه، وما يكشف عنه هذا

النظم البديع من معاني، وما يبرزه من أسرار ولطائف، وذلك من خلال سورة من سور القرآن العظيم، فكان هذا البحث، وعنوانه:

"مِن لَطائفِ النَّظْمِ القُرْآنِي في الْكَشْفِ عَنِ الْمَعَانِي

في سُورَةِ (الْمُلكِ) : دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيّةٌ"

كي أبرز من خلاله كيف أنّ القرآن الكريم جُمعتْ حروفه فصارتْ كلماتٍ، وكلماته جُمعتْ فصارتْ آيات، والآيات جمعتْ فصارتْ سورًا، والسور جمعتْ فصارتْ قرآنًا، وهو جامعٌ لعلوم الأولين والآخرين، وثمرات الكتب المنزّلة من ربّ العالمين، ولا شك أنّ استيفاء هذه الأمور علىٰ أحسن نسقٍ لا يمكن لغيره عزّ وجل.

خطة البحث: ينقسم هذا البحث إلىٰ: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: وفيها بعد الثناء علىٰ الله تعالىٰ، والصلاة والسلام علىٰ رسوله محمد ﷺ الحديث عن أهمية الموضوع، والباعث علىٰ الكتابة فيه، وخطة البحث، وصعوبات البحث، وتساؤلات البحث، والدراسات السابقة، منهجي في البحث، وأهداف البحث.

الفصل الأول: النظم القرآني دلالته وعناصره (دراسة نظرية)، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم النظم القرآني وأهميته وعلاقته بالتفسير، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النظم لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أهمية دراسة النظم القرآني.

المطلب الثالث: القائلون بأن النظم أحد وجوه إعجاز القرآن.

المطلب الرابع: علاقة النظم بالتفسير.

المبحث الثاني: عناصر النظم القرآني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المفردة القرآنية، وخصائصها.

المطلب الثاني: الجملة القرآنية: صياغتها وخصائصها.

الفصل الثاني: النظم القرآني في سورة الملك (دراسة تطبيقية)، ويشتمل على: تمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد، وفيه مدخل لسورة الملك، من حيث: ترتيبها، وقت نزولها، عدد آياتها، أسمائها، العلاقة بين أسمائها ومضمونها.

المبحث الأول: المقاصد التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

المبحث الثاني: مناسبة سورة الملك لما قبلها- سورة التحريم- وما بعدها – سورة القلم-، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مناسبة "سورة الملك"لما قلبها"سورة التحريم ".

المطلب الثاني: مناسبة"سورة الملك" لما بعدها "سورة القلم" .

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة الملك.

المبحث الثالث: المعاقد الكلية في سورة الملك، وبيان تآلف وحدتها من: مقدمة، وأربعة محاور، وخاتمة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقدمة، وفيها إثبات قدرة الله – عزّ وجل- وطلاقة هذه القدرة.

المطلب الثاني: الأربعة محاور، وفيها دلائل القدرة الإلهية، وتنطع الكفار والمشركين.

المطلب الثالث: الخاتمة، وفيها تلقين النبي ﷺ ثمرات الإيمان بقدرة الله – تعالىٰ –.

ثم كانت الخاتمة، ثم الفهارس.

صعوبات البحث:

من أكثر الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث هو التحليل لمحتويات النّص القرآني والكشف عن العلاقات والروابط في أسلوب القرآن، وكيفية التناسق الكامل بين العبارة القرآنية والمعنىٰ الذي يراد بيانه وتوضحيه.

أسئلة البحث:

تكمن تساؤلات هذا البحث في تساؤل رئيس يتفرع منه عدة تساؤلات، أما التساؤل الرئيس فهو:

* ـ ما مظاهر التآلف في السورة القرآنية وفقًا لمقتضيات المعاني التي تتضمنها، والكشف عن أوجه الارتباط بين أجزاء النظم في السورة؟.

وأما ما يتفرع منه:

* ـ لماذا كان النظم القرآني من أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم؟
* ـ ما العلاقة بين دراسة النظم القرآني والتفسير؟
* ـ ما الآثار الناتجة عن دراسة تطبيق أسلوب النظم القرآني في السور القرآنية؟
* ـ ما المقاصد التي عالجتها سورة الملك، والمعاني التي وردت للإبانة عنها، ومدىٰ الإفصاح عما اشتملت عليه من آيات الروعة والإعجاز؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب في المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات القرآنية، اتضح وجود الكثير من الكتب التي كتبت عن النظم القرآني من خلال الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، إلا أنّ هذه الدراسات في أغلبها دراسة نظرية تقعيدية، وممن جمع بين الدراسة النظرية والتطبيقية:

* ـ النظم القرآني في سورة الرعد د/ محمد سعد الدبل.
* ـ من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، أد/ محمد محمد أبو موسىٰ.

ولم أرَ من تكلم عن سورة الملك من خلال النظم القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، غير أني عثرتُ علىٰ بحث بعنوان: الظواهر البلاغية في سورة الملك دراسة تفسيرية تحليلية، د/ رياض محمود جابر قاسم، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية بغزة. وبعد قراءته تبين بُعد ما بين منهجي وهدفي وما بين منهجه وهدفه، حيث إنني عمدت إلىٰ السورة والإبانة عما امتازت به من النظم العجيب والربط بينه وبين المعاني الواردة فيها، أما صاحب البحث فإنه كان معنيًا باستخراج الأمور البلاغية من السورة الكريمة.

منهجي في هذا البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه، فهو المنهج الوصفي التطبيقي الذي يجمع بين التأصيل والتطبيق عن طريق البحث عن النواحي التي تتصل بنظم القرآن الكريم، وتراكيبه المحكمة، ثم معانيه الجليلة، فإنها ليست عناية لغوية بقدر ما هي عناية بالإمعان في النظر إلىٰ كتاب الله، ومحاولة لإدراك

سر الإبداع في الاستعمال القرآني للغة العرب، وهذا ما بذلت فيه جهد الطاقة.

ولذا اقتضت طبيعة الكتابة في هذا الموضوع تقسيمه إلىٰ جانبين:

الجانب **النظري**: الذي يتم فيه جمع المادة العلمية وتأصيلها، من حيث الإبانة عن مفهوم النظم وعناصره وعلاقته بالتفسير، وكيف أنّه أحد أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم.

الجانب **التطبيقي**: الذي يتم فيه تطبيق المادة العلمية علىٰ النموذج المقصود دراسته، من خلال السير في صحبة هذه السورة الكريمة، والتأمل فيما اشتملت عليه من آيات الروعة والإعجاز، وكان أهم ما توجهت العناية إليه في هذه الدراسة:

* ـ النظم في سورة الملك فاحصًا عن عناصر النظم في جزئياته وكلياته، وبيان مظاهر إحكام التأليف في هذه السورة وفقًا لمقتضيات المعاني التي تضمنتها، وكذلك البحث عن مظاهر التلاؤم والائتلاف بين أجزاء النظم في السورة.

* ـ ذكر أهم الأغراض والمقاصد التي تعالجها السورة الكريمة، والمعاني التي وردت للإبانة عنها، وعن متانة الأداء ودقته وروعته في التعبير عن هذه المعاني، معرفا ما امتاز به القرآن الكريم من النظم الفريد الرابط بين أفصح الألفاظ وأصح المعاني، وكيف أنّه مترابط البناء محكم التراكيب، لا تفاوت في أسلوبه، تتراءىٰ فيه وحدة في المعاني وفي الألفاظ كما في الأسلوب نفسه من أوله إلىٰ آخره.

وبذلك تتميز هذه الدراسة من غيرها من الدراسات حيث إنني أتناول الموضوع نظريًا وأُبين موقعه بدقة من بين وجوه الإعجاز القرآني إجمالا، ثم

أقوم بدراسة تطبيقية بناء علىٰ ما أسجله من معلومات نظرية، في إطار أصول البحث العلمي.

أهداف البحث:

إنّ الثمرة التي ينبغي تجنيها، والفائدة التي يتطلب الحصول عليها في هذه الدراسة أمور أهمها:

* ـ أنّ أبرز شيء في القرآن هو ما يظهر في فصاحته وبلاغته وبيانه، وذلك حتىٰ تظل العقول دائمًا متطلعة إليه، ناظرة فيه، آخذة منه، كلما جاءت إليه وجدت عنده رزقًا، فهذا إعجاز من إعجاز القرآن.
* ـ أنّ هذه الدراسة من شأنها أن تزيد ارتباط المسلم بالقرآن الكريم، لما في ذلك من التأمل فيه، وفهم له، وإحساس صادق بما تحمل آياته وكلماته من معاني الحق والخير، ومن أسرار قدرة الله وحكمته وعلمه.
* ـ أنّ سورة الملك تعتبر مثالًا حيًّا لتوفر إعجاز القرآن الكريم، ويظهر ذلك في نظمها المحكم من لفظٍ معجز ومعنىٰ مفهوم وأسلوب موزون.
* ـ أنّ الحقائق التي سجلتها تلك السورة الكريمة تعتبر قواعد أصيلة، علىٰ المسلمين تحقيقها وتطبيقها في كل عصر وزمن؛ لترتقي بنا إلىٰ معالي الأمور.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد .

كتبه راجي عفو ربّه الكريم
أحمد حسين مهدي الأكرت
مدرس التفسير وعلوم القرآن في كلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

الفصل الأول
النظم القرآني
دلالته وعناصره (دراسة نظرية)

المبحث الأول
مفهوم النظم القرآني
وأهميته وعلاقته بالتفسير

المطلب الأول:
تعريف النظم لغة واصطلاحًا:

أما في اللغة فإن لفظة (النظم) تدور حول معنىٰ التأليف والجمع والاتساق سواء في الأمور المادية أو المعنوية[1].

وفي الاصطلاح، هو: حُسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كلّ كلمة في الجملة في محلّها المناسب لها، وهو يقوم علىٰ معاني النحو والبلاغة[2].

فالنظم القرآني يعني: التناسق الكامل، والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنىٰ الذي يراد بيانه وتوضيحه؛ فالألفاظ في النّظم يلائم بعضها بعضًا، فتجد أنّ الحروف والكلمات والجمل تتآلف وتنسج مع بعضها فتكون في قالب محكم، وهي كلها متوجهة إلىٰ الغرض المنشود من حيث الدلالة علىٰ المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٥٧٨، تاج العروس للزبيدي ٣٣/ ٤٩٦، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ٢/ ٩٣٣.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني ٣٩١، وينظر: الرسالة الشافية ١٤١ ضمن رسائل الإعجاز، وينظر: التعريفات للجرجاني ٢٤٢، تاج العروس ٣٣/ ٤٩٩.

وإلىٰ ذلك يشير الخطابي قائلا: " واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني، من توحيدٍ له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلىٰ طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد علىٰ محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيء منها في مواضعه الذي لا يرىٰ شيء أولىٰ منه، ولا يرىٰ في صورة العقل أمر أليق منه، ٠٠ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتىٰ تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوىٰ البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله"[(١)].

المطلب الثاني: أهمية دراسة النظم القرآني:

وتأتي أهمية النّظم القرآني من حيث إنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة الإعجاز، وإلىٰ ذلك يشير العلامة / أبو موسىٰ فيقول: " وفكرة النّظم معروفة في محيط المشتغلين بمسألة الإعجاز؛ إذ إنّها وليدة الدراسة في هذا الباب، ولم أعرف كتابًا من كتب البلاغة التي تناولت شئون الأدب والشعر قد ذكرت هذه الفكرة، فالذي دفع إلىٰ الخوض فيها لم يكن هو الشعر ولم يكن هو النثر، وإنما كان القرآن "[(٢)].

ومن أعظم وجوه إعجاز القرآن الإعجاز البياني؛ لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سوره علىٰ اختلافها طولًا وقصرًا، أمّا الوجوه الأخرىٰ من

---

(١) بيان إعجاز القرآن٢٧، ٢٨ ضمن ثلاث رسائل الإعجاز.

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية٨٨ بتصرف.

وجوه الإعجاز فليس الأمر كذلك، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم وجوه الإعجاز وأعمها وأتمّها؛ لأنّه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة علىٰ قصرها، وإذا كان الإعجاز البياني إنّما يرجع في لبّه وجوهره إلىٰ النّظم، وهذا النظم ليس خاصا بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية؛ لأنهم ظنوا أنّ الإعجاز البياني إنّما هو حديث عن الصورة التي تمتع العواطف، وتلذها النفس، وترهف الحس، الصورة التي تقوم علىٰ الاستعارة والكناية والتشبيه، وهذه تختلف عند كلّ قوم باختلاف بيئتهم، ولكن النظم ليس كما حسبوه، وإنما نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم علىٰ النظم: ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرىٰ، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة، وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها، وهم وغيرهم في ذلك سواء[1].

المطلب الثالث: القائلون بأنّ النّظم أحد وجوه إعجاز القرآن: منهم

* ـ الإمام الطبري الذي بيّن أنّ النّظم أحد خصوصيات القرآن الكريم والتي امتاز بها عن بقية الكتب السماوية الأخرىٰ[2].

---

(١) إعجاز القرآن الكريم، أ.د/ فضل حسن عباس،١٦٥، بتصرف.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ١٩٩، فقد قال: " ومن أشرفِ تلك المعاني التي فَضَل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله، نظْمُه العجيبُ، ورصْفُه الغريب، وتأليفُه البديع، الذي عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلَّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشُّعراء، وتبلَّدت -قصورًا عن أن تأتيَ بمثله-

* ـ والخطابي الذي ذكر أركان الإعجاز القرآني، وأنّه " إنّما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حاملٌ، ومعنىً به قائمٌ، ورباطٌ بهما ناظمٌ، وإذا تأملتَ القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتىٰ لا ترىٰ شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترىٰ نظمًا أحسن تأليفًا، وأشدّ تلاؤمًا، وتشاكلًا من نظمه " [(١)].

فهو يرىٰ أنّ إعجاز القرآن إنّما كان باللفظ والمعنىٰ معًا، أي: بهذا الأسلوب من النظم، الذي جمع بين أفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصح المعاني، فالصورة البيانية بجميع عناصرها كيان واحد، هو (نظم القرآن)، وهو الذي أعجز العرب عن القيام له، والوقوف إزاءه، بالإضافة إلىٰ روعة القرآن وسطوته، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس.

* ـ والقاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري (ت٤٠٣هـ) وكتابه: (إعجاز القرآن) [(٢)]، الذي يرىٰ أنّ وجوه الإعجاز تظهر من جهات ثلاث:

لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار " وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١/ ١٠٦.

(١) بيان إعجاز القرآن ٢٧، ٢٨، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز.

(٢) وقد اعتبره السيد أحمد صقر محقق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني ٦٧ بأنّه: أعظم كتاب الّف في الإعجاز إلى اليوم، ويعتده عبد الكريم الخطيب أوّل من ألّف في الإعجاز كتابًا مستقلًا به، مقصورًا عليه، إذ كان كلّ ما يُعرف في هذا الباب للعلماء كلمات منثورة في تضاعيف كلامهم، أو في مقدمات تفسير القرآن. ينظر: الإعجاز

الإخبار عن الغيوب والأمور المستقبلية، إخباره عن قصص الأولين، وسير المتقدمين، أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، فقد أفصح عما يضمتنه النظم من بلاغة، وما يحويه من إعجاز، فقال: "والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلىٰ الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه: منها: ما يرجع إلىٰ الجملة، ومنها: أنه ليس للعرب كلام مشتمل علىٰ هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، علىٰ هذا الطول، وعلىٰ هذا القدر، ومنها: لا يتفاوت ولا يتباين، علىٰ ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها [1]".

* - والشيخ عبد القاهر الجرجاني الأديب الأشعري (ت٤٧١هـ) [2] وكتاباه: (دلائل الإعجاز، والرسالة الشافية)، ويرىٰ أن إعجاز القرآن في

في دراسات السابقين١٩٤، بينما يعتبر مؤلفه: المؤسس الثاني لعلم الإعجاز بعد الجاحظ، وأنّه عَلَم الدراسات في الإعجاز بلا منازع.

(١) إعجاز القرآن٣٥ وما بعدها.

(٢) يعد المؤسس الثاني للبلاغة، وهو المؤسس الفعلي لعلمي المعاني والبيان، أحاط بمدرسة الجاحظ وتراثه العلمي، واستفاد من تراث العلماء قبله، واستوعبه وهذّبه وأضاف عليه، وينفرد عبد القاهر الجرجاني بين علماء البيان بأنّه ذو منهج يغلب عليه (الذوق)، وتستأثر به فيه سلامة الفطرة، ونقاء الطبع، فلم تستبد به الصنعة، ولم تستنفد جهده، ولم تقتل ذوقه تلك الأساليب الفلسفية، والمذاهب الكلاميّة، التي عرفت في عصره، وجرى عليها العلماء عند النظر في كلّ أمرٍ، وفي مواجهة كلّ موقف، فهو من آحاد العلماء الذي سلم لهم طبعهم، وبقية معهم فطرتهم السليمة

نظمه وتأليفه، والنظم، هو: حُسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كلّ كلمة في الجملة في محلّها المناسب لها، وهو يقوم علىٰ معاني النحو والبلاغة[١].

فالكلام عند عبد القاهر ثلاثة منازل:

لفظٌ استقل بجماله، واستغنىٰ بحسنه دون أن يكون للنظم حسابٌ فيه، ونظمٌ اعتمد علىٰ ترتيب المعاني، وتآخي الأفكار دون أن يسانده التأنق في اللفظ، وكلامٌ حوىٰ الحُسن من طرفيه، فجمع إلىٰ جمال اللفظ وإشراق المعاني، تساوق المعنىٰ وتلاحم الفكرة، وهذا الأخير هو الذي يبحث عنه، ويطلب التفاضل فيه بين البلغاء، ومن جهته يكون الإعجاز[٢].

النقيّة إلى حدٍّ بعيد. ينظر: الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكريم الخطيب٢٤١.

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني٣٩١، وينظر: الرسالة الشافية صـ١٤١ ضمن رسائل الإعجاز.

(٢)الإعجاز في دراسات السابقين٢٧٤.

فمناط النظم عند الشيخ عبد القاهر، هو: مناط الفكر والتأمل والصنعة، وهو المعاني لا الألفاظ، وأن الألفاظ ما هي إلا تابعة في نظمها وترتيبها وتأليفها وتركيبها لمعانيها، فهو يدعو المتكلم إلى أن يعمل على قوانين علم النحو وأصوله، وقوانين كل شيء: مقاييسه، وكل مقياس مرهون بطبيعة وأحوال وغايات ما يقاس، ومعاني النحو هي العلاقات الروحية التي تقوم بين معاني الكلمات، على اختلاف صورها وامتداد سياقاتها، بدأ من ركني الجملة "المسند إليه والمسند"، وانتهاء بسياق الفقرة والمعقد والنص، وهذه العلاقات الروحية هي الوجوه التي يتصور بها المعنى، والضروب التأليفية بين معاني الكلمات بكل ما تحمله كلمة (تأليف) من دلالة على التعالق، وهذه العلاقات ذات أنماط تركيبية لا تتناهى، يطلق عليها عبد القاهر الوجوه والفروق النحوية، فإن فالنظم عنده توخي العلاقات

المطلب الرابع: علاقة النّظم بالتفسير:

إنّ علم التفسير له أصول يستمد منها كبقية العلوم التي لا بد لها من أصول وقواعد تقوم عليها، وأهم القواعد التي يقوم عليها علم التفسير العلوم العربية وخاصة البلاغة منها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فكان ولابُد لمن تصدىٰ لهذا العلم أن يكون عالمًا باللغة العربية وما يتعلق بها من نحو وصرف وبلاغة؛ كي يتسنىٰ له الكلام في معاني القرآن الكريم، ولذلك نجد كتب التفسير قد اهتمت بالجانب اللغوي والتركيب النظمي للقرآن الكريم وأولته عناية فائقة، فهذا الزمخشري يقول: " ومن حقّ مفسّر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم علىٰ حُسْنه، والبلاغة علىٰ كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة، فهو من تعاهد النظم والبلاغة علىٰ مراحل[1]".

وهذا العلم من أعظم الأركان التي يحتاجها المفسّر، فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، ويعتمد ما سبق له الكلام حتىٰ لا يتنافر، فـ "معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع علىٰ عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد

الروحية بين معاني الكلمات، ومعاني الكلمات لا يراد بها المعاني الإفرادية الموضوعة إزاء الكلمة فحسب، بل معنى الكلمة في وجودها البياني (الكلام) من رافدين، الأول: المعنى المعجمي الوضعي، والآخر: الوظيفة التركيبية من حيث هي فاعل أو مفعول أو غير ذلك. نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني أد/ محمود توفيق سعد صـ٥٤، ٥٥.

(١) الكشاف للزمخشري ١/ ١٠٦.

البلاغة[١]"، فالذي يشتغل بعلم التفسير ولا دراية له بعلوم البلاغة - والتي تعينه علىٰ معرفة التراكيب وما تحويه دلالات السياق - وخاصة علمي البيان والمعاني لا يستطيع أن يقف علىٰ مراد الله – تعالىٰ في كلامه؛ لأنّ كلام الله – تعالىٰ- يتصل بهما اتصالًا مباشرًا، ولقد أشار إلىٰ ذلك الطاهر ابن عاشور حيث قال: " ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنّهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم: علم دلائل الإعجاز[٢]".

وعليه يمكن للمفسر أن يربط بين اللفظ والمعنىٰ ربطًا دقيقًا محكمًا، وأن يثبت سر أعجاز القرآن الكريم في أسلوبه وتراكبيه، وهو ما أعجز البلغاء والفصحاء .

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي١/ ٣١٢.

(٢) التحرير والتنوير١/ ١٩ .

المبحث الثاني
عناصر النظم القرآني

المطلب الأول : المفردة القرآنية، وخصائصها.

أما المفردة القرآنية:

فهي أساس النظم القرآني؛ لأنّها مفتاح النّص، وزمام ما فيه من دقيق المعاني، وخفي الإشارات، وكلما أحسن الدارس هذه الوقفات واستشف من المفردات كلّ ما تعطيه وتلوح به من معنىٰ ووحي ورمز كان أقدر علىٰ الاندماج والمشاركة، وحينما يصل المفسر إلىٰ هذه الدرجة فقد وصل إلىٰ ما ينبغي أن يصل إليه، فالكلمة أصل الدقة في التعبير، والوضوح في المعنىٰ، والصدق في الدلالة؛ لأنّ الكلمة إذا تمكنت في موضعها الأصل دلّت علىٰ المعنىٰ كله، فإذا حشرت حشرًا، أو قسرت قسرًا، دلت علىٰ بعض المعنىٰ أو ألجأت إلىٰ غيره.

وأما خصائص المفردة القرآنية:

فإنّ لها خصائص ومميزات ثلاثًا رئيسة تمتاز بها، وهي: جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنىٰ، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرىٰ من المعاني والدلالات[1].

واللفظ القرآني غني بالإيحاءات التي تبث الحذر والإشفاق في قلوب المؤمنين حتىٰ تستقيم نفوسهم علىٰ الجادة؛ لأنّه كتاب تهذيبٍ وتقويمٍ، وطريقته في التهذيب والتقويم هي: النفاذ إلىٰ النفس الإنسانية وقيادتها من

(١) الإعجاز في نظم القرآن د/ محمود شيخون٧٧.

داخلها، وإقامتها قيّمة علىٰ نفسها، فالمفردة القرآنية إذن مفردات مختارة منتقاة، لما لها من الجمال الصوتي، والتناسق الفني، والإيقاع الموسيقي، والائتلاف المحكم، والإيحاء العجيب، والتصوير البديع.

وإلىٰ ذلك يشير الرافعي فيقول:"ولو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرىٰ الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضـًا، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي، حتىٰ إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنـًا عجيبـًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقـًا في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتىٰ إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولىٰ الحركات بالخفة والروعة"[1].

وهو ما لخصه الدكتور محمد دراز في أمرين:

الأول: الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته، ومداته وغُنّاته.

الثاني: الجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة[2].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية١٥٦.

(٢) النبأ العظيم١٣٣وما بعدها.

وبذلك يتضح قول ابن عطية، وتظهر أهميته حيث قال: "كتابُ الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبيّن لنا البراعة في أكثره، ويخفىٰ علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، وميز الكلام "[1].

فليست العبرة في المعاني؛ لأنّ " المعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع، وجَودَة السَّبك [2]".

ومن هنا كانت كلمات القرآن الكريم مقدرة خير تقدير، معبّرة أصدق تعبير وأصدقه، فاختيار الكلمة في موضع دون آخر، وتقديمها في موضع دون آخر، وذكرها في موضوع دون آخر، كلّ ذلك إعجاز[3].

المطلب الثاني

الجملة القرآنية: صياغتها وخصائصها

إنّ العبارة القرآنية لهي أعلىٰ درجات البلاغة، ومنتهىٰ زمام الفصاحة؛ وعليها مدار الإعجاز؛ لما فيها من التلاؤم والاتساق بين كلماتها، وبين تلاحق حركاتها وسكناتها، فالجملة في القرآن تجدها دائمة مؤلفة من

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٥٢، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ١/ ٤، ط: دار القلم- دمشق.

(٢)كتاب الحيوان للجاحظ ٣/ ١٣١ ت/ عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، ١٤١٦هـ =١٩٩٦م.

(٣)إعجاز القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس١٦٥ وما بعده بتصرف.

كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والنطق، ويتكوّن من تضامها نسق جميل ينطوي علىٰ إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من كلمة أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال، فدراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالًا مباشرًا بالمفردة القرآنية، التي هي أساس الجملة، ومنها تركيبها، كما أنّ لها ارتباطًا بأسلوب القرآن.

ذلك أنّ الأسلوب القرآني " انفرد بطريقة سويِّة في تأدية المعاني، وإبرازها في قوالب لغوية، لا تنافُرَ بين ألفاظها ولا بين حروفها، إنّها طريقة مستقيمة لا عوج فيها، ولا تناقض ولا اختلاف، تسلك بالناس مسالك الهدىٰ من غير تكلُّف ولا اعتساف، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلىٰ التأمُّل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهَد، بحيث لا يسع أحدٌ إنكاره أو المِرَاء فيه، إلّا من سفه نفسه، وألغىٰ عقله، وتخلىٰ عن فطرته التي فطره الله عليها [(١)]".

فأسلوب القرآن الكريم، هو: طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، وهو كما أوضحه العلامة/ محمد عبد الله دراز بأنّه: ملتقىٰ نهايات الفضيلة البيانية علىٰ تباعد ما بين أطرافها، وقد ذكر الملامح العامة لهذه الخصائص الأسلوبية، والتي ترجع إلىٰ الخصائص التالية:

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم د/ محمد بكر إسماعيل٣٧٤، ط: دار المنار١٤١٩هـ= ١٩٩٩م، وينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢٥٣، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد أ د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر٤٩ وما بعدها، ط: دار السلام، (٢) ١٤٣٣هـ =٢٠١٢م.

الأولى: "القصد في اللفظ" و"الوفاء بحقّ المعنىٰ"، أي: أنّه يؤدي لك من كلّ معنىٰ صورةً نقيّةً وافيةً : "نقية" لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، "وافية" لا يشذّ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية، كلّ ذلك في أوجز لفظ وأنقاه، ففي كلّ جملة منه جهاز من أجهزة المعنىٰ، وفي كلّ كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كلّ حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته سرّ الحياة الذي ينتظم المعنىٰ بأدائه.

الثانية: "خطاب العامة" و"خطاب الخاصة"، أي: أنّه قرآنٌ واحدٌ يراه البلغاء أوفىٰ كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسنُ كلام وأقربه إلىٰ عقولهم لا يلتوي علىٰ أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلىٰ ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة علىٰ السواء، ميسّر لكلّ من أراد.

الثالثة: "إقناع العقل" و"إمتاع العاطفة"، أي: أنّه يخاطب العقل والقلب معًا بلسان، ويمزج الحق والجمال معًا، يلتقيان ولا يبغيان، وأن يخرج من بينهما شرابًا خالصًا سائغًا للشاربين، وهذا هو ما تجده في كتاب الله الكريم.

الرابعة: "البيان" و"الإجمال"، أي: أنّك ترىٰ للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهًا عدة، كلّها صحيحٌ أو محتملٌ للصحة، كأنّما هي فَصّ من الماس يُعطيك كلّ ضلعٍ منه شعاعًا، فإذا نظرتَ إلىٰ أضلاعه جملة بَهرتك بألوان الطيف كلّها، فلا تدري ماذا تأخذ عينَك وماذا تَدع، ولعلّك لو وكّلت النظر فيها إلىٰ غيرك رأىٰ منها أكثر مما رأيت، وهكذا نجد كتابًا

مفتوحًا مع الزمان يأخذ كلّ منه ما يسر له، بل ترىٰ محيطًا مترامي الأطراف لا تحدُّهُ عقول الأفراد ولا الأجيال.

فالجديد في لغة القرآن أنّه في كلّ شأنٍ يتناوله من شئون القول يتخيّر له أشرف المواد، وأمسّها رحمًا بالمعنىٰ المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كلّ مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحقّ بها، وهي أحقّ به، بحيث لا يجد المعنىٰ في لفظه إلا مِرْآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يومًا أو بعض يوم، بل علىٰ أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلًا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلًا، وعلىٰ الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلىٰ في صناعة البيان[1].

وعلم النظم، هو: الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام.

وبيان طريقة النظم هنا تعني استقامة المعنىٰ وتوضيح المفهوم من الكلام وربط بعضه ببعض بطريقة بالغة في الفهم والذكاء، والوسيلة هي: التحليل لمحتويات النص والكشف عن العلاقات والروابط، وليست

---

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم أ د/ محمد عبد الله دراز١٤٣، ١٢١، وينظر: مناهل العرفان ٢/ ٢٥٩، الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها للشيخ/ عبد الكريم الخطيب١٤٣، ١٤٤، ط: دار الفكر العربي، (١) ١٩٧٢م.

الوسيلة هنا هي الإعراب وبيان موقع الجمل بعضها من بعض من حيث التسبيب والاستئناف أو الاعتراض.

وتجاوب النظم يعني انسجام المعاني وتقاربها ووضوح الوشائج والصلات بينها وهذا سمت الأسلوب القرآني، ولهذا فصل كتاب الله سورًا، يقول الزمخشري في بيان الأسرار التي من أجلها كان كتاب الله سورًا، ومنها: - أي: ومن هذه الفوائد- أنّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها البعض، وبذلك تتلاحق المعاني ويتجاوب النظم(١).

تتمة: ترتيب الآيات والسور:

أما ترتيب الآيات، فـ [الإجماع والنصوص المترادفة علىٰ أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين] كما قاله السيوطي(٢) .

أما ترتيب السور في المصحف علىٰ ما هي عليه فقد ذهب الجمهور إلىٰ أنه توقيفي كترتيب الآيات سواء بسواء، فـ [المختار تأليف السور علىٰ هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت

(١) البلاغة القرآنية عند الزمخشري١٩٢، تفسير الزمخشري ١/ ١٢٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢١٢ .

مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصّل[١]، قال أبو جعفر: وهذا الحديث يدل علىٰ أن تأليف القرآن مأخوذٌ عن النبي ﷺ وأنه من ذلك الوقت، وإنّما جمع في المصحف علىٰ شيء واحد [٢]].

ويؤكد أصحاب هذا الرأي ما ذهبوا إليه بأن المناسبات بين السور لا تقلّ عن النّظم ووجه ارتباط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة، وقد درج علىٰ بيان تلك المناسبات بعض المفسرين، وكانوا يطلبونها بين آخر السورة وأول السورة التي تليها، أو بين أول هذه السورة وجملة السورة السابقة في بعض الأحيان، قال الزركشي: "ترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع علىٰ أنّه توقيفي صادرٌ عن حكيمٍ: أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنىٰ وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص، ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجمله الأخرىٰ، مثل: "والضحىٰ" و "ألم نشرح..."[٣]".

(١) أخرجه أحمد في مسنده: مسند الشاميين ٢٨/ ١٨٨حديث رقم (١٦٩٨١) عن واثلة بن الأسقع، (وهو حديث حسن).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٦٠ .

الفصل الثاني
النظم القرآني في سورة الملك
(دراسة تطبيقية)

تمهـــيد:

وفيه مدخل لسورة الملك، من حيث: ترتيبها، وقت نزولها، عدد آياتها، أسماؤها، العلاقة بين أسمائها ومضمونها.

ترتيبها: سورة الملك هي السورة السابعة والستون جاءت بعد سورة التحريم وقبل سورة القلم وذلك في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فإنها قد نزلت بعد سورة الطور وقبل سورة الحاقة وذلك عند جمهور المفسرين[1].

وقت نزولها: هي مكية باتفاق المفسرين، كما أفاده ابن عطية [2].

وآياتها: ثلاثون آية عند الجمهور، وإحدىٰ وثلاثون عند المكيّين، والمختلف فيها آية (قَدْ جَآءَنَا نَذِير[3]).

اسمها: لما كان لهذه السورة من المنزلة والمكانة فقد جاء في السنة ما يدل علىٰ تعدد أسمائها، وكما هو معلوم أن كثرة الأسماء تدل علىٰ عظم المسمّىٰ، فقد ورد بأنها تسمىٰ:

---

(١) وقد ذكر الفيروز آبادي اتفاقا من المفسرين على ذلك . ينظر بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٩٩ ، غير أن بعض المفسرين ذكر أنها نزلت بعد سورة المؤمنون كالطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٩/ ٧ ، و د / محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط ١٥/ ٥ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٧.

(٣) بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٧٣ .

١- سورة الملك وهذا الاسم هو الشائع لها في كتب السنة وكتب التفسير وفي أكثر المصاحف، أو هي سورة تبارك، ويُقال أن اطلاق اسم " الملك " إنّما هو اختصار لقوله: " تبارك الذي بيده الملك " فقد سماها النبي ﷺ بذلك، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتىٰ غفر له وهي سورة " تبارك الذي بيده الملك [(١)]".

٢- وهي المانعة، والواقية، والمُنجية، والدافعة، المجادِلة[(٢)]. **العلاقة بين أسماء السورة ومضمونها:**

إن كلّ اسم من هذه الأسماء التي سميت به السورة الكريمة له دلالة ومعنىٰ، وهذا المعنىٰ مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمضمون السورة وهدفها؛ إذ أنّ " مقصودها: الخضوع لله لاتصافه بكمال الملك، الدّال عليه تمام القدرة، الدال عليه قطعا أحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه أحكام المصنوعات علم ما في الصدور؛ لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد علىٰ ما هم عليه من الصلاح والعناد كما هي عادة الملوك في دينونة رعاياهم لتكمل الحكمة وتتم النعمة وتظهر سورة الملك[(٣)]، وقد سميت بالملك؛ لافتتحها بذلك، وهو قوله – تعالىٰ –: " تبارك الذي بيده الملك "، وسميت بالمانعة؛ لأنّها تمنع قارئها من فتنة القبر، والمنجية؛ لأنّها تنجيه من عذاب النار، والواقية؛ لأنّها تقيه من كلّ شر، والمجادِلة؛ لأنّها تجادل

---

(١) سنن الترمذي أبواب فضائل القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الملك ٥/ ١٤ ح(٢٨٩١) وقال : حديث حسن .

(٢) وقد ورد في هذه الأسماء احاديث ذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/ ٦٤ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٨/ ١١٦، والآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٣ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/ ١١٥، ١١٦ .

عنه منكر ونكير فترد السؤال عنه في القبر، وما ذلك إلّا لاشتمالها علىٰ جملة من الحقائق التي يقوم عليها تصور الإنسان المسلم: اتجاه المكوّن والكون وتعامله مع ربّه ونفسه والنّاس؛ الأمر الذي يترتب عليه بناء الشخصية الإسلامية الملتزمة للمنهج القويم والمتبعة للصراط المستقيم، هذا التصور الذي يجعله عبدًا ربانيًّا لله – تبارك وتعالىٰ – التزم بالأصول فَنَال الوصول، وتحقق فيه قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: " ... وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبّه ..."[1] الحديث .

فالسورة لازمة لطريق السعادة، فمن لزم السورة قراءةً وتطبيقًا، أي: تعبد بتلاوتها، وحقق معناها، وفهم مقصودها، وسعىٰ في تطبيق هذه المقاصد التي اشتملت عليها نجا مما يخاف، ومُنع من كل هول، ووقي كلّ مخلوق .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك : الرقاق ، ب : التواضع ٥/ ٢٣٨٤ ح(٦١٣٧) عن ابي هريرة .

المبحث الأول
مقاصد السورة الكريمة

إنّ الناظر في سورة الملك يجد أنّ الروح النابضة في هذه السورة، والتي تميزها عن غيرها من سور القرآن عامّة، والسور المكية خاصة؛ لما لها من صبغة معينة، وهذه الصبغة هي: إثبات وجود الله – تعالىٰ – ووحدانيته عن طريق بيان القدرة الإلهية، وهيمنة الله – تعالىٰ –، وسيطرته علىٰ هذا الكون، وأنّ المخلوقات كلّها في قبضته وبيده – سبحانه –، والمتمثلة في أول آية في السورة الكريمة، وهو قوله – تعالىٰ –: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "، وعليه فتكون السورة من السور التي ارتبط مطلعها بمقصدها، ذلك أنّ كلّ آيات السورة إنّما تدور حول هذه الآية الأولىٰ منها، فهذه القدرة وتلك الهيمنة هي التي خلقت الموت والحياة والمعاش والمعاد، وأوجدت فيهما من الأمور والأسباب والوسائل المساعدة علىٰ الطاعة، والمعينة علىٰ أداء التكاليف، ففي المعاش والحياة أوجد السموات وزينها بالنجوم والكواكب وحفظها من الخسف والريح المدمرة، والأرض وتذليلها للعيش الطيب والرزق الحلال، وخلق الماء وجعله عذبا فراتًا، وذكر بعض نعمه علىٰ عباده، وأنّه أنشأ فيهم عوامل الإدراك والتفكير، فجعل السمع والأبصار والأفئدة .

وفي المعاد الذي يكون عن طريق الموت ذكر البعث والنشور والحساب والجزاء وما يلاقيه بعض الناس في يوم القيامة من شقاء للكافرين المنكرين لهذا اليوم، ومن سعادة للمؤمنين الذين كانوا يخشون ربهم بالغيب.

وفي وسط بيان هذه القدرة وتلك الهيمنة يتم توجيه سؤال استنكار وتوبيخ لهؤلاء المعرضين عن هذه الحقائق، والآمنين مكر الله – تعالىٰ –، والنادمين في وقت لا ينفع فيه الندم، وفي طيّة توجيه بشرىٰ للمؤمنين، حتىٰ

يتحقق الغرض الأسمىٰ، والمقصد الأعلىٰ، وهو: الخضوع لله – تعالىٰ – الذي هذه صفاته وتلك قدرته، والخضوع إنما يكون باستسلام لله – سبحانه – عن طريق اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وهذا ما أفاده البقاعي.

هذا هو المقصد العام والإجمالي في هذه السورة الكريمة، أما مقاصدها بوجه الخصوص وبشيء من التفصيل فقد عوّل علىٰ بعضها الفيروز آبادي حيث قال: " معظم مقصود السّورة: بيان استحقاق الله المُلْك، وخَلْقُ الحياة والموت للتجربة، والنظرُ إِلىٰ السماوات للعِبرة، واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أُعد للمنكرين: من العذاب والعقوبة، وما وُعد به المتَّقون: من الثَّواب والكرامة، وتأْخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرّحمة، وحفظ الطُّيور في الهواءِ بكمال القدرة، واتصال الرّزق إِلىٰ الخليقة بالنَّوال والمِنَّة، وبيان حال أَهل الضَّلالة والهداية، وتعجُّل الكفَّار بمجيءِ القيامة، وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: " فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ [1]" .

أي: أنّ السورة الكريمة لمّا اشتملت لما عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة والغلبة والغفران، والقهر علىٰ الأعداء والترحم علىٰ الأولياء، وأنه لا يقدر أحد علىٰ من عاداه – سبحانه –، ورزق من منعه، فهي بذلك [تبني من قواعد التصور الإسلامي جوانب رئيسية مهمة، فهي تقرّ في الضمير حقيقة القدرة المطلقة، وحقيقة الهيمنة المطلقة، وحقيقة الابتلاء بالموت والحياة تمهيداً للحشر والجزاء، وحقيقة الكمال والجمال في صنعة الله، وحقيقة العلم المطلق بالسرّ والنجوىٰ، وحقيقة مصدر الرزق، وحقيقة حفظ الله للخلائق، وحضوره – سبحانه – مع كل مخلوق [2]" .

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٢) الأساس في التفسير سعيد حوى ٦/ ٢٦٣.

المبحث الثاني
مناسبة سورة الملك لما قبلها وما بعدها

المطلب الأول: مناسبتها لما قلبها: سورة التحريم ":

العلاقة بين السور إنّما تكون ببيان أمرين:

العلاقة الكلية: وذلك عن طريق الربط من خلال الوحدة الموضوعية بين السورتين، والأهداف الرئيسية بينهما، وأنّ حلقة الوصل بين السورتين إنّما هو ببيان إبراز القضايا الكلية التي تعالجها كلتا السورتين .

العلاقة الجزئية: وذلك عن طريق الربط بين مفتتح السورة وخاتمة ما قبلها، أو بين مفتتح السورتين.

ومن يطالع كتب التفسير يجد أنّ المفسرين عوّلوا في المناسبة بين سورة الملك وما قبلها وهي سورة التحريم علىٰ العلاقة الجزئية؛ حيث الربط بين فاتحة الملك وخاتمة سورة التحريم، تاركين العلاقة الكلية إلىٰ ذهن القارئ، مكتفين ببيان مقصود كلّ سورة، ومعرفة الهدف الأسمىٰ لها، وبالتالي يتمكن القارئ من الاهتداء إلىٰ العلاقة الكلية بين السورتين بسهولة .

فسورة التحريم النقطة المحورية فيها، والغرض الأسمىٰ لها، والمقصد الأعلىٰ الساري في جنباتها هو: أنّ إرضاء المخلوق غاية لا تدرك، وأنّ الرجل والمرأة في ذلك علىٰ حدّ سواء، وأنّ القرابة غير نافعة بدون الإيمان، وصلاح الغير لا ينفع المفسد، وفساد الغير لا يضر المصلح، وعليه فإنّه يجب علىٰ أهل الإيمان وقاية الأنفس والأهلين من النار، وعملية الوقاية تقتضي عدم الرضوخ لرغبات الزوجات، وتقتضي تأديب الزوجات، وحمل

الجميع علىٰ الطاعة الكاملة، وتضرب مثليْن من صالحات النساء وضدهن لما في ذلك من العظة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم.

وتأتي سورة الملك لتقول بأنّ الخضوع والطاعة إنّما يكون لله – تعالىٰ – الذي بيده الملك، وأنّ المرء عليه أن يسعىٰ في مرضات الله – تعالىٰ – الذي أوجده من عدم وأمدّه من عُدم، وأن يقوم بعملية الوقاية لنفسه ولأهله قبل فوات الأوان ويندم في وقت لا ينفع فيه الندم .

أما العلاقة الكلية بين سورة الملك وسابقتها وهي سورة التحريم، فإنها تتبلور في المحاور التالية :

أنّ السورتين ذكرتا المكلفين من المخلوقات وهم: الإنس والملائكة والشياطين، فسورة التحريم ذكرت الملائكة وإطاعتهم لله – تعالىٰ – وأنهم يفعلون ما يؤمرون، وسورة الملك ذكرت الشياطين وتمردهم، وتسليط الله – تعالىٰ – نوعا من العذاب الدنيوي عليهم فقال: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ " فتزيين السماء بالنجوم والكواكب كان فيها نوع من العذاب للمتنطعين من الشياطين.

فكأنّ السورتين توصلان رسالة للإنسان مفداها: أمامك طريقان: طريق الطاعة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وسلوك الصراط المستقيم والمنهج القويم فترقىٰ رقي الملائكة وتكون في منزلتهم ورفعتهم، وطريق المعصية بارتكاب الفواحش وكبائر الذنوب كالكفر والغرور والعناد فتتمرد تمرد الشياطين فيكون العقاب والجزاء سواء العاجل منه والآجل، الدنيوي والأخروي .

سعة علم الله فهو سبحانه لا يعزب عن سمعه شيء، ولا يخفىٰ عن بصره شيء، فجاءت سورة التحريم وذكرت أسرارا مما في البيوت مما لا يستطيع الاطلاع عليه ومعرفته إلا علام الغيوب فذكرت الحديث الذي دار بين أزواج النبي ﷺ كما ذكر ت ما كان من امرأة نوح وامرأة لوط من شرك، وما كان من امرأة فرعون من إيمان، فجاءت سورة الملك وذكرت أن ذلك عام في كافة المجالات وفي كل الحالات، فقد قال تعالىٰ : " وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) " و " قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) " فبينت سورة التحريم أن ما كان من معرفة لله مما دار في البيوت من أسرار مما لا يطلع عليه إلا الله، جاءت سورة الملك لتدلل علىٰ أنه الخالق، والخالق أعلم بمن خلق .

أن السورتين نبهتا علىٰ الجوانب التربوية، والتهذيبات السلوكية ففي سورة التحريم قال تعالىٰ : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ "، وكفارة اليمين، وتربية النفس والأولاد والأهل، والتوبة النصوح، والتضرع لله والدعاء له " يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "، ولزوم طريق المصلحين والاعراض عن سبيل المفسدين، أما سورة الملك فذكرت السنن الكونية وأن المنتفعين بهذه السنن الموجودة في الكون إنما هم المؤمنون المستجيبون للأمر بالنظر في الكون المرة تلو المرة، والذين يخشون ربهم بالغيب، والذين حالهم وقولهم : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "، أما

الكافرون المعرضون عن منهج الله فغير منتفعين بالسنن الكونية، ولا يأمنون مكر الله – تعالىٰ –، ولا يتعظون بمن سبقهم من الأمم المكذبة لرسلهم وكيف كان عاقبة تكذيبهم، ولا يستخدمون الأشياء التي خلقها الله لهم وركبها فيهم من السمع الأبصار والأفئدة فيما يعود بالنفع عليهم بل استخدموها فيما يستوجب العذاب والهلاك : " وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " وبالتالي سيكون من تلاومهم فيما بينهم يوم القيامة – الذين كذبوا به وبوقوعه – : " وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ " .

فالسورتان ذكرتا أدب الدين والدنيا، وأنه لا بد من الجمع بين الروح والمادة، والمعنوي والحسي، والمنقول والمعقول لبناء الحضارات ورقي الأمم " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " .

أما العلاقة الجزئية بين سورة الملك وسابقتها وهي سورة التحريم، فإنها تكون من خلال النقاط الآتية :

النقطة الأولى : العلاقة بين فاتحة سورة الملك وخاتمة سورة التحريم :

إنّ العلاقة بين سورة الملك وسورة التحريم من حيث مفتتح السورة الأولىٰ وخاتمة ما قبلها هو : أن سورة الملك إنما هي بمثابة تقعيد القواعد الكلية بعد ذكر الأمثلة والنماذج، فسورة التحريم ذكرت نموذجا للضلال والمضلين : امرأة نوح وامرأة لوط، وذكرت نموذجا للهداية والمهتدين : امرأة فرعون، وجاءت سورة الملك وقررت القواعد بأن الضلالة والهداية بيد الله، فمن أعرض عنه سبحانه أهلكه ولم يغنِ عنه أحد، ومن أقبل عليه

رفعه واستخلصه ولم يضره أحد، وأنّ القرابة غير نافعة بدون الإيمان، وصلاح الغير لا ينفع المفسد، وفساد الغير لا يضر المصلح، فبداية سورة الملك ونهايتها تدلان علىٰ أنّه لا يقدر علىٰ ذلك إلا مالك الملك و : " الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " فيجب الخضوع له وإطاعته – سبحانه – . كما أفاده ابن الزبير الغرناطي(١).

---

(١) حيث قال:{ ... ولما كان أوقع في سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر ، وأعلى آية لمن استبصر من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين قد بعثهما الله – تعالى – رحمة لعباده ، واجتهدا في دعاء الخلق فحرم الاستنارة بنورهما ، والعياذ بهداهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه ، ولا أكثر مشاهدة لما مُدَّا به من الآيات وعظيم المعجزات ، ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، ثم أعقبت هذه العظة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها ، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جرأته ، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة فقالت : " رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ " ، وحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حُرم التمسك بها أولى الناس في ظاهر الأمر ، وتقديم سبب امتحان سلم منه أقرب الناس إلى التورط فيه .

ثم أعقب ذلك بقصة عرّيت عن مثل هذين السببين ، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين وهو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب ، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب ، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق : " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ، وإذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذى يؤتي الملك والفضل من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران،– وهو قوله – تعالى – : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ

كما أن سورة التحريم ختمت بالحديث عن مريم – عليها السلام – وطهارتها وعفتها وكيفية حملها بعيسىٰ – عليه السلام –، وفتحت سورة الملك [بالثناء علىٰ الله – تعالىٰ – بإثبات كماله، وعموم قدرته ردّاً لما يدعيه النصارىٰ في مريم من تجسيد الله بها، وبيانـًا لأن حملها كان بنفخ جبريل في فرجها، أثر من آثار قدرته " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " فعبارة " بِيَدِهِ الْمُلْكُ " تفيد استحالة اتصال الله ببعض مملوكاته بتجسيد أو حلول أو اتحاد، وصفة " الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ " تؤكد تلك الاستحالة ؛ لأنه إذا كان خالق الموت والحياة الذيْن لا يخلو منهما مخلوق، فكيف يتصل بمن هو عرضة للموت في كل لحظة ؟! هذا مما ترده العقول وتأباه، وهذه مناسبة واضحة [1]" .

كما أن الناظر في ختام السورتين يجد أن ختامهما يؤكد أن الله – تعالىٰ – يعطي بسبب وبلا سبب وبضد السبب فسورة التحريم ذكرت نموذجا لذلك : وهي السيدة مريم والتي فيها إشارة إلىٰ عيسىٰ عليه السلام وأنه روح الله وكلمته، و سورة الملك ذكرت نموذجا محسوساً واقعيا مشاهدا من واقع الناس وهو الماء، قال تعالىٰ : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ

مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٦) " – فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها ، ثم بنيت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين. البرهان في تناسب سورة القرآن١٩١ ، وينظر : نظم الدرر للبقاعي ٢٠/ ٢١٦ ، البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٢٢٠ ، روح المعاني للآلوسي ٢٩/ ٤ ، صديق الغماري في جواهر البيان في تناسب سور القرآن ١٢٥ .

(١) جواهر البيان للغماري صـ١٢٥ ،١٢٦ .

يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ " فالذي يستطيع أن يسلب الماء عذوبته قادر علىٰ أن يخلق الإنسان بالطريقة التي ذكرها في سورة التحريم .

النقطة الثانية : العلاقة بين السورتين من خلال مطلعيهما وفاتحة كل منهما :

إن بين السورتين تشابها في المطلع، واتفاقا في الافتتاح من حيث المعنىٰ والمضمون، فسورة التحريم أكدت في بدايتها بأن هناك تكاليف شرعت، وأحكاما فرضت لا يجوز تضييعها، ولا يصح تركها لأي حال من الأحوال، وتأتي سورة الملك وتؤكد في مطلعها أنه ما وجد هذا الإنسان وما خُلق وشرعت له التكاليف، وفرضت عليه الأحكام التي عوّل الله – تعالىٰ – عليها في السورة السابقة إلا " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ " فالتكليف ما كان إلا للاختبار والامتحان فمن امتثل واجتهد فاز ونجح، ومن اعرض وعصىٰ هلك وخسر .

كما أن سورة التحريم ذكرت أن الله عز وجل هو مولىٰ نبيه ﷺ والذين معه وناصرهم " وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "، " فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ " وأنه – تعالىٰ – قادر علىٰ أن يبدله أزواجًا فيهن من الصفات الطيبة والخلال الحسنة : " عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا "، فإن أردتم أن تتعرفوا علىٰ صفات ناصركم ومتولي أموركم والعليم الحكيم فهو من له القدرة المطلقة، وبيده العظمة والهيمنة، فلا تستعجبوا ولا تستغربوا أيها الناس وخاصة يا أزواج النبي ﷺ فإنه الله الذي بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت وهو علىٰ كل شيء قدير وهذا ما ذكرته سورة الملك .

المطلب الثاني
مناسبة "سورة الملك" لما بعدها "سورة القلم"

العلاقة الكلية بين" سورة الملك " وما بعدها: أبرز الإمام أبو حيان جانبًا منها حيث قال : " ومناسبتها – أي: سورة القلم- لما قبلها : أنّه فيما قبلها ذكر أشياءً من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنّه تعالىٰ لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر تعالىٰ به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلىٰ الشعر، ومرة إلىٰ السحر، ومرة إلىٰ الجنون فبدأ سبحانه وتعالىٰ هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره علىٰ صبره علىٰ أذاهم، وبالثناء علىٰ خلقه العظيم[1] " .

فالإمام يريد أن يقول : بأن العلاقة التي بين سورة القلم وسورة الملك هو : أنهما بمثابة كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسورة الملك ذكرت الشق الأول من الكلمة من حيث بيان القدرة الإلهية، وسورة القلم جاءت وذكرت الشق الثاني من الكلمة من حيث بيان الرسالة المحمدية وإبطال شبه المشككين فيها، وعليه كانت العلاقة وثيقة، والترابط شديد، والتلاصق محتوم، والتجاور مطلوب .

وقال الغماري : { وجّه الله – تعالىٰ – خطابا إلىٰ الكفار في السورة السابقة إن هو حبس رزقه عنهم – بحبس المطر – فمن يرزقهم غيره ؟ " أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ " فأخبر في هذه السورة أنه امتحنهم بالقحط كما امتحن غيرهم : " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ

(١) البحر المحيط ١٠/ ٢٣٤ ، والآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٢٦ ، أبو جعفر الغرناطي في البرهان في تناسب سور القرآن٣٤٤.

أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ *فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ[١] " .

فالسورتان وضحتا جانبا من القدرة الإلهية ونفاذ هذه القدرة وهيمنة الخالق سبحانه وسيطرته علىٰ الكون، فسورة الملك كانت بمثابة الأمر النظري التحقيقي وجاءت سورة القلم وكانت بمثابة الأمر العملي التطبيقي عن طريق ذكر نموذج مما سبق الحديث عنه، وهذا الرابط سيظهر أيضا قريبا عند الحديث عن العلاقة الجزئية بإذن الله تعالىٰ .

المناسبات الجزئية بين السورتين:

المناسبة بين فاتحة سورة القلم وخاتمة سورة الملك :

ما ذكره البقاعي حيث قال : { سورة القلم : مقصودها : إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم في آية " فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " بتعيين المهتدي الذي برهن علىٰ هدايته حيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن والتخلق بالفرقان الذي هو صفة الرحمن بقدر الإمكان الذي تصل إليه قوة الإنسان، فلما أبهم الضال والمهتدي في آخر " الملك " والمسيء والمحسن في العمل أولها فافتتح هذه السورة بكلمة البيان[٢]".

أي : أن سورة الملك ذكرت مقدمات وقضايا كلية، وجاءت سورة القلم كنتيجة لهذه المقدمات، وحكم فاصل في هذه القضايا، ففي سورة الملك قال تعالىٰ : " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "، وفي سورة القلم قال تعالىٰ : " إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " .

---

(١) جواهر البيان ١٢٨ .

(٢) نظم الدرر ٢٠/ ٢٧٢ . بتصرف.

ما قاله السيوطي من " أنّه تعالىٰ لما ذكر في آخر الملك التهديد بتغوير الماء استظهر عليه في هذه بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة بطائف طاف عليهم وهم نائمون فأصبحوا ولم يجدوا له أثراً حتىٰ ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة فالماء الذي هو لطيف أقرب إلىٰ الإذهاب ولهذا قال سبحانه هنا " وَهُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ "، وقال جل وعلا هنا : "إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً " إشارة إلىٰ أنه يسرىٰ عليه في ليلة كما أسرىٰ علىٰ الثمر في ليلة[1] }، وقد نقل هذا الكلام و حسّنه الإمام الآلوسي[2].

أي : أن سورة الملك ختمت بقوله – تعالىٰ – : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ "، جاءت سورة القلم وذكرت دليلا علىٰ صحة ذلك ووقوعه فعليًا بأصحاب الجنة، وما كان من جنتهم من إدرار وخير، وما حصل بعد ذلك : " فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ "، وفي هذا رسالة تهديد للمشركين بإذهاب الخير الذي يتنعمون فيه والذي يحيطهم من كلّ مكان كنعمة الأمن : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ [3]"، وسعة الرزق : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

(١) تناسق الدرر في تناسب السور، ١٢٨، ت/ عبد القادر أحمد عطا، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، (١) ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

(٢) روح المعاني ٢٩/ ٢٧.

(٣) سورة العنكبوت الآية (٦٧) .

وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [1]" وأعظم النعم وأكبرها بعثة النبي محمد ﷺ الذي جاءهم بهذا النور الذي ينير أبصارهم وبصائرهم.

١- أن سورة الملك ذكرت أن الكفار في غرور قال - تعالىٰ - : " إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ "، وجاءت سورة القلم وذكرت أن من عوامل الغرور عند الكفار هو المال والولد : " أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ " .

المناسبة بين فاتحة السورتين :

٢- مطلع السورتين الكريمتين فيه بيان للقدرة الإلهية وسعة علمه سبحانه، وإحاطته سبحانه وتعالىٰ بمخلوقاته، وبيان أنه سبحانه منزل القرآن علىٰ قلب رسوله الكريم ﷺ ففي بداية سورة الملك قال الله – تعالىٰ - : " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "، وتأتي بدايات سورة القلم بحرف من هذه الحروف المقطعة، والتي هي سرّ من أسرار هذا القرآن العظيم، وأنه إنما جيء بها للتحدي والإعجاز التنبيه والإيقاظ، ففيها تحدٍ للمعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن ؛ لتثبت أنه لا يستطيع أن يقدر علىٰ الإتيان بمثل هذا إلا صاحب الملك والملكوت والذي بيده الملك وهو علىٰ كل شيء قدير.

٣- أن مطلع السورتين فيه حديث عن الابتلاء، ففي سورة الملك قال تعالىٰ : " الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ "، وفي سورة القلم قال سبحانه : " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ " .

٤- بل إن الناظر في ختام السورتين يجد أن بينهما ترابطا وتماسكا يقتضي ذكر الثانية بعد الأولىٰ لا محالة لما بينهما من التقارب، فالسورتان

---

(١) سورة قريش الآية (١-٤) .

في مختتمهما ذكرتا ما يلحق وجوه الكافرين من غبرة ومن دلائل تدل علىٰ حزنهم وخزيهم، ففي سورة الملك قال الله – تعالىٰ – : " فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ"، وفي سورة القلم قال تعالىٰ : " خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَىٰ السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ "، كما أن السورتين ختمتا برسالة الإسلام وأنها هي الرسالة العالمية، وأن أول من اتبع هذه الرسالة هو محمد ﷺ : " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا "، وفي سورة القلم يكون التوجيه العام لاتباع الرسالة العالمية : " وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ " .

المطلب الثالث

الوحدة الموضوعية في سورة الملك

إنّ محور سورة الملك قد أنكر علىٰ من يكفر بالله، مقيمًا عليه الحجة من خلال ظاهرتي الحياة والعناية، مقررًا موضوع الرجوع إلىٰ الله كبديهيّة، وقد جاءت السورة مفصّلة في ذلك كلّه ضمن سياقها الخاص بها، تحدثت عن الله – عزّ وجلّ- وعن حكمته في خلق الموت والحياة، وعن خلق السموات السبع، وعن تزيينها بالكواكب، وعن حكمة وجود الكواكب؛ لتصل إلىٰ الكلام عن عذاب الشياطين والكافرين في نار جهنم؛ لتذكر بعد ذلك جزاء الذين يخشون ربّهم، ثم تذكر معاني تستثير فيها الخشية، ثمّ تأمر بعد ذلك رسول الله ﷺ أن يقول للكافرين معاني محددة، وبهذا أقامت السورة الحجة تلو الحجة علىٰ الكافرين، وأنكرت عليهم الكفر وما يتفرع عنه، وبيّنت ما يستدعيه الإيمان بالله- عزّ وجّل – وفصّلته، فكانت بمجموعها تفصيلًا لمحورها وبيانًا لحكمة الخلق التي تعرض لها المحور[1].

(١) الأساس في التفسير ٦/ ٢٧٤، ط: دار السلام.

المبحث الثالث
المعاقد الكلية في سورة الملك، وتآلف وحدتها

بدايةً ... هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة محاور، وخاتمة.

(**المقدمة**) وفيها إثبات قدرة الله – عزّ وجل- وطلاقة هذه القدرة.

المحور الأول: من مظاهر القدرة الإلهية، ببيان خلق الموت والحياة، وخلق السموات وما فيها من كواكب ونجوم.

المحور الثاني: الترهيب والترغيب، ببيان إنذار العصاة من الكافرين وما أُعد لهم من عذاب أليم، وتبشير المؤمنين وما يكون لهم من مغفرة وأجر كبير، وسعة علم الله - تعالىٰ- وشيئًا من مظاهر نعمه علىٰ عباده.

المحور الثالث: التهديد والوعيد للمكذبين المعاندين، بإظهار التحدي والإعجاز، والاعتبار بالسابقين من الأمم الماضية ممن علىٰ شاكلتهم، والتوبيخ لهم بتعطيل آلات الحواس والفهم في التعرف علىٰ الله – تعالىٰ-.

المحور الرابع: إثبات البعث ووقوعه، وأن يوم القيامة آتٍ لا محالة.

(**الخاتمة**) وفيها تلقين النبي ﷺ ثمرات الإيمان بقدرة الله – تعالىٰ-، والتنديد بالمشركين، وتقريرهم بهيمنة الخالق – سبحانه- علىٰ الكون، وتفرده بالملك والسلطان.

المطلب الأول: المقدمة في آية واحدة وهي قوله تعالىٰ:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

افتتحت السورة بما يدلّ علىٰ منتهىٰ كمال الله – تعالىٰ- افتتاحًا يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تنزيه الله – تعالىٰ- عن النقص الذي افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده[1].

والافتتاح بـ (تبارك) قد جاء في سورتي الفرقان والملك، و"تبارك" بمعنىٰ تعالىٰ وتعاظم وتكاثر خيره، وهو فعل لا يتصرف، ولا يستعمل لغير الله – سبحانه-، فهو من عبارات الثناء علىٰ الله – تعالىٰ- كالحمد، وافتتاح سورتي (الفرقان والملك) بهذا اللفظ مناسب لما ورد فيهما من تعداد نعم الله – تعالىٰ- علىٰ عباده، والدلالة الظاهرة لقوله " تبارك" أمران:

الأول: إشعار العباد بكثرة ما يفيضه الله عليهم من خيرات وبركات، وأنّ هذا العطاء ثابت مستقر.

الثاني: تمجيد الله – تعالىٰ- وتعظيمه، ووصفه بما يليق به من صفات الكمال، ومن ثَمّ فإن الافتتاح بـ (تبارك) له أهميته في تكوين التصور الصحيح عن الخالق سبحانه، وتمييزه عن الآلهة المزعومة، والمعبودات

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٩.

المورثة، كما أنّ له أهميته –أيضًا– في ملء القلوب باعتقاد محبته وتعظيمه لتفضله وإنعامه، وقيامه بشؤون خلقه، والوفاء بمصالحهم وحاجاتهم(١).

وقد دلّ النظم الكريم للآية المباركة علىٰ أنّ الله – تعالىٰ – صاحب التقديس والثناء هو المتصرف في هذا الكون تصرّفًا مطلقًا، والقادر علىٰ كل شيء قدرة شاملة تامّة، وذلك من خلال التعريف في " الملك" الذي هو للاستغراق فيشمل جميع أفراد الجنس، فما يوجد من أفراده فرد إلا وهو مما في قدرة الله فهو يعطيه وهو يمنعه، وإسنادُ " تبارك" إلىٰ الموصولِ " الذي بيده الملك" للاستشهادِ بما في حيزِ الصَّلةِ علىٰ تحققِ مضمونِهَا، واليدُ مجازٌ عن القدرةِ التامَّةِ والاستيلاءِ الكاملِ، وتقديم المسند وهو " بيده " علىٰ المسند إليه " الملك" لإفادة الاختصاص، أي الملك بيده لا بيد غيره، وهو قصر ادعائي مبني علىٰ عدم الاعتداد بملك غيره؛ لأنّ كل ملك سوىٰ ملكه غير تام؛ لأنّه لا يعم المملوكات كلّها، ولأنّه معرض للزوال، وملك الله هو الملك الحقيقي، وعطف جملة: " وهو علىٰ كل شيء قدير" علىٰ جملة: " بيده الملك "؛ لتكميل المقصود من الصلة، وهي تعميم بعد تخصيص؛ إذ أفادت الصلة عموم تصرفه في الموجودات، وأفادت هذه عموم تصرفه في الموجودات والمعدومات بالإعدام للموجودات والإيجاد للمعدومات، وتقديم المجرور في قوله: " علىٰ كل شيء قدير "؛ للاهتمام بما فيه من التعميم، ولإبطال دعوىٰ المشركين

(١) فواتح سور القرآن الكريم أنواعها– ودلالتها، أ.د/ السيد إسماعيل علي سليمان ٥٥ وما بعدها بتصرف، مكتبة الإيمان، ط: (٢) ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

نسبتهم الإلهية لأصنامهم مع اعترافهم بأنّها لا تقدر علىٰ خلق السماوات والأرض ولا علىٰ الإحياء والإماتة[1].

المطلب الثاني:

دلائل القدرة الإلهية، وتنطع الكفار والمشركين:

المحور الأول: بعض مظاهر القدرة الإلهية، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

شروع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة، وبيان ابتنائهما علىٰ قوانين الحِكَم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة، فهو تعالىٰ بيّن في أول السورة أنّه قادر علىٰ جميع الممكنات، ثم ذكر بعده أنّه وإن كان قادرًا علىٰ الكلّ إلّا أنّه إنّما خلق ما خلق لا للعبث والباطل، بل لأجل الابتلاء والامتحان، وأنّ المقصود من ذلك الابتلاء أَنْ يكون عزيزًا في حق المصرين علىٰ الإساءة غفورًا في حقّ التائبين، ولما كان ذلك لا يثبت إلا إذا ثبت كونه تعالىٰ كاملًا في القدرة والعلم أعقب التذكير بتصرف الله بخلق الإنسان وأهم أعراضه بذكر خلق أعظم الموجودات غير الإنسان وهي السماوات،

(١) تفسير أبي السعود ٩/ ٢، التحرير والتنوير ٢٩/ ١٠.

ومفيدة وصفًا من عظيم صفات الأفعال الإلهية، ولذلك أعيد فيها اسم الموصول لتكون الجمل الثلاث جارية علىٰ طريقة واحدة [١].

ومن لطائف النظم القرآني في هذا المحور:

إيثار خلق الموت والحياة بالذكر دون غيرهما من المخلوقات؛ لأنّهما أعظم العوارض لجنس الحيوان الذي هو أعجب الموجود علىٰ الأرض والذي الإنسان نوع منه، وهو المقصود بالمخاطبة بالشرائع والمواعظ، فالإماتة تصرف في الموجود بإعداده للفناء، والإحياء تصرف في المعدوم بإيجاده ثم إعطائه الحياة ليستكمل وجود نوعه، وفيه إتمامٌ للاستدلال علىٰ دقيق الصنع الإلهي وهو من أغراض السورة[٢]، وتقديم الموت علىٰ لأنّ الموت أقوىٰ الدواعي إلىٰ العمل، فقُدّم ليتبيّن أنّ الذي سيق له الآية البعثُ علىٰ العمل، والإخلاص فيه، وتحري الصواب له، ولعمري، إنّ من جعل الموت نُصب عينيه، زهد في الدنيا ولذاتها، ورغب في الآخرة وأناب إلىٰ الجنة ونعيمها[٣].

وجعل غاية خلق الموت والحياة هو الابتلاء (ليبلوكم)؛ لأنّ المرء إذا علم أن وراء الموت حياةً وحالةً يستوي فيها الغني والفقير، والمولىٰ والعبد، ولا ينفعه إلا ما قدّم من خيرٍ، صار ذلك داعيًا إلىٰ حُسن العمل، وزاجرًا عن ضده، وفيه حمل للإنسان علىٰ تدارك ما فات، ومعرفة أنّ الدنيا

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠/ ٥٨٦، ارشاد العقل السليم ٩/ ٢، روح المعاني ١٥/ ٥، التحرير والتنوير ٢٩/ ١٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٢.

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٥/ ٥٣٤.

مزرعة الآخرة [1]، وإيراد صيغة التفضيل (أيّكم أحسن عملًا) مع أنّ الابتلاء شاملٌ للمكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلىٰ الحسن والقبيح لا إلىٰ الحسن والأحسن فقط؛ للإيذان بأنّ المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء، هو: ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقين – أيضًا- لكمال تعاضد الموجبات له، وللترغيب في الترقي إلىٰ معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها[2].

وذيّلت الآية بصفتين من صفات الله – تعالىٰ- وهما: العزيز الغفور، فلأجل أن يتمكن من إيصال جزاء كل أحد بتمامه إليه سواء كان عقابًا أو ثوابًا، ولأجل أن يعلم أن المطيع من هو والعاصي من هو فلا يقع الخطأ في إيصال الحق إلىٰ مستحقه، فصفاته – تعالىٰ- تقتضي تعلقًا بمتعلقاتها؛ لئلا

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١١/ ٥١.

هذا وقد جعل الله – تعالى- في سورة الملك غاية الابتلاء في قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملًا) بينما في سورة هود جعلها غاية خلق السموات والأرض؛ إذ قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الآية (٧)؛ ليناسب كلًا سياقه ونظمه، والذي قد أفصح عنه الشهاب الخفاجي حيث قال: " فإن قلتَ: هل لاختياره أحد المسلكين هنا – يقصد في سورة هود- والآخر – يعني في سورة الملك- ثمّة وجه أم هو اتفاقي؟ قلتُ: له وجهٌ، وهو أنّه لما ذكر قبله خلق السموات والأرض وما فيهما من النعم والمنافع ناسب أن يذكر بعده حال العباد في الشكر وعدمه بمقالة اختبارهم للعلم بذلك، ولمّا ذكر ثمّة قبله خلق الموت والحياة ناسب أن يعقب بإظهار ما هم عليه وعاقبة أمرهم ". عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٥/ ١٢٧.

(٢) تفسير الآلوسي ١٥/ ٦.

تكون معطلة في بعض الأحوال والأزمان فيفضي ذلك إلىٰ نقائضها، وقدّم صفة العزيز علىٰ صفة الغفور؛ ليناسب تقديم الموت علىٰ الحياة، فإنّه لمّا قدّم الموت ـ الذي هو أثر صفة القهر ـ علىٰ الحياة ـ التي هي أثر صفة اللطف ـ قدّم صفة القهر علىٰ صفة اللطف بقوله: " وهو العزيزُ": الغالب، الذي لا يُعجزه مَن أساء العمل، " الغفور ": الستور، الذي لا ييأس منه أهل الإساءة والزلل[(١)].

والتعقيب بخلق السموات بعد خلق الموت والحياة؛ للتعريض بأهل الشرك إذ أضاعوا النظر والاستدلال بما يدل علىٰ وحدانية الله- تعالىٰ- بما تشاهده أبصارهم من نظام الكواكب، وذلك ممكن لكل من يبصر، وفي ذِكْر كون السماوات سبعًا إيجاب القول بتصديق ما يأتي به الرسل؛ لأنه لا يعرف إلا من طريق الخبر، فليس منا القول في السماوات أنها سبع وإن لم تشاهد [(٢)]، وكلمة " طباقًا" جمع تكسير ومصدر فهي أشمل وأوسع، ثم هي من حيث اللغة أعلىٰ من كلمة طبقات.

وعبّر بالظاهر في (ما ترىٰ خلق الرحمن) عن المضمر (ما ترىٰ فيهن)؛ للتعظيم، والإشعار بعلة الحكم، وبأنّه تعالىٰ خلقها بقدرته، رحمةً وتفضُّلًا، ولأنَّ في إبداعها نعمًا جليلة [(٣)]، والتعبير بوصف " الرحمن" دون اسم الجلالة؛ للإيماء إلىٰ أنّ هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس؛ لتجري

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٥٨١، البحر المديد لابن عجيبة ٧/ ٩٢، التحرير والتنوير ٢٩/ ١٥.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١٠/ ١٠٥.

(٣) تفسير أبي السعود ٩/ ٣، البحر المديد ٧/ ٩٣.

أمورهم علىٰ حالة تلائم نظام عيشهم؛ لأنّه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سببًا لاختلال النظام فيتعرض النّاس بذلك لأهوال ومشاق، و- أيضًا- في ذلك الوصف تورك علىٰ المشركين إذ أنكروا اسمه -تعالىٰ-: الرحمن، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا [1] ﴾، ولقد أخبر الله -تعالىٰ- أولًا: بأنّه لا تفاوت في خلقه، ثمّ أمر ثانيًا: بترديد البصر في ذلك؛ لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة، ووجه الأمر بتكرير النظر علىٰ هذه الصفة، وأنّه قد لا يرىٰ ما يظنّه من العَيْب في النظرة الأولىٰ ولا في الثانية، ولهذا قال أولًا: ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت، ثمّ قال ثانيًا: فارجع البصر، ثمّ قال ثالثًا: ثمّ ارجع البصر كرتين، فيكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة، وأقطع للمعذرة، يرجع إليك البصر ذليلًا صاغرًا عن أن يرىٰ شيئًا من ذلك[2]، فليس المراد من التثنية العدد وإنما المراد التكرار والتكثير، أي: رجعة بعد رجعة وإن كثرت.

وفي قوله " يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ" وضع الظاهر موضع المضمر، وفيه من الفائدة: التنبيه علىٰ أن الذي يرجع خاسئًا حسيرًا غير مدرك الفطور، هو: الآلة التي يلتمس بها إدراك ما هو كائن، فإذا لم يدرك شيء دل علىٰ أنّه لا شيء[3].

---

(١) سورة الفرقان الآية (٦٠)، فتوح الغيب للطيبي١٥/ ٥٣٧، التحرير والتنوير٢٩/ ١٨.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/ ٣٠٩.

(٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنيّر ٤/ ٥٧٦، ضمن تفسير الكشاف.

وبعد أن بيّن الله – سبحانه- انتفاء الخلل والقصور في خلقه للسموات اتبع ذلك بكونها في غاية الحسن واتقان الصنع مما يدل علىٰ عظم صناعها وسعة علمه وقدرته، ولذلك صدّر الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها، وإنّما خصّ الله – تعالىٰ- السماء الدنيا بالزينة؛ لتروق أنظار الناظرين إليها ويحصلون علىٰ اللذة في النظر إليها، وللاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، وحفظًا من تلقي الشياطين للسمع فيما قضىٰ الله أمره في العالم العلوي، وغيره من المنافع الدينية والدنيوية، ولما كان سياق الآيات يحث علىٰ تكرار النظر والتأمل في السماء استعير للنجوم المصابيح علىٰ سبيل التشبيه في حسن المنظر؛ لما يبدو من نورها، فإنّها في أعين الناظرين لها كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائعة، بخلاف ما في الصافات فإنه لما ذكر المشارق والمغارب الأمر الذي يتطلب ما يهتدون به، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ [1] ﴾، والإتيان بنون العظمة لإبراز مزيدة العناية بالأمر، وتنكير مصابيح للتعظيم أي مصابيح ليست كمصابيحكم التي تعرفونها، (وجعلناها رجومًا للشياطين) أي: وجعلنا لها فائدة أخرىٰ هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب، وبعد الإحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير في الآخرة، وتسمية عذابهم السعير دون النار أو جهنم؛ لأنّه لما كانوا من عنصر النار ذكر ما هو أشد من نار طبعهم، فإذا أصابتهم صارت لهم عذابًا[2].

(١) سورة الصافات الآية (٦).

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٤، التحرير والتنوير٢٩/ ٢١، ٢٢.

المحور الثاني: الترهيب والترغيب:

وفيه أربع نقاط:

النقطة الأولى: إنذار العصاة من الكافرين وما أُعد لهم من عذاب أليم، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

تفصيل أحوال الكفار في الأخرة وقدرة الله تعالىٰ علىٰ عقاب العاصين، فهي تتعلق بالمقدمة من حيث أنّ الله سبحانه لما بيّن في أول السورة أنّه قادر علىٰ جميع الممكنات، ثبت كونه قادرًا علىٰ تعذيب العصاة، وتتعلق بالمحور السابق من حيث أنّه لمّا ذكر بالدلائل المذكورة كمال القدرة والعلم ثبت أنّ الكافرين لن يُعجزوا الله هربًا ولن يفلتوا من عذابه، وفيها تعميم بعد تخصيص؛ لدفع إيهام اختصاص العذاب بالشياطين دون غيرهم، فهي تشمل كل كافر متمرد من شياطين الإنس والجن.

من لطائف النّظم القرآني:

وضع (الذين كفروا) موضع الضمير؛ لإرادة التعميم، فإنّ الأصل أن يُقال: (ولهم عذاب جهنم)[١]، ولأجل ما في ذلك من زيادة الفائدة غايرت الجملة التي قبلها، فلم يقل الله – تعالىٰ-: (وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنّم)، والجار والمجرور خبر مقدم، وقوله تعالىٰ: (عذاب السعير) مبتدأ مؤخر، وهذا التقديم للاهتمام بتعلقه بالمسند إليه والمبادرة به[٢].

ثم ذكر الله سبحانه شيئًا من قبح المصير الذي أعد للكافرين، وهو ما يسمعونه فيها من أصوات مؤلمة مخيفة، وعليه فالسياق يرجّح أنّ الشهيق إنّما هو لجهنّم لا لأهلها من المشركين وممن طُرح فيها قبلهم، أي: سمعوا كائنًا لجهنّم صوتًا كصوت الحمير، وهو حسيسها المنكر الفظيع علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية كما أفاده أبو السعود[٣]، ولما كان الشهيق، والذي هو: اجتلاب الهواء إلىٰ الصدر بشدّة لقوة الاحتياج إلىٰ التّنفس، وهو يقتضي تردد الأنفاس في الصدر أطلق علىٰ صوت التهاب نار جهنّم الشهيق تفظيعًا له[٤]، وناسب إيراده هنا في الملك؛ ليناسب نظم السورة ومقصدها

---

(١) حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي ١٩/ ١٨٩، ضمن حاشية القونوي على البيضاوي.

(٢) التحرير والتنوير٢٩/ ٢٣.

(٣) إرشاد العقل السليم ٩/ ٤، تفسير الآلوسي١٥/ ١٥.

(٤) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٣، وقد ذكر أ.د/ محمد حسن جبل بأن المعنى المحوري لكلمة (شهيق) هو: نفاذ الشيء مجتمعًا بحدّة إلى عمقٍ خالٍ، كهواء الشهيق يدخل مجتمعًا إلى عمق الجوف، والجبل الشاهق يطعن بارتفاعه في جوف الأفق.

من طلاقة قدرة الله- تعالىٰ- وسعة علمه من معرفة بواطن الأشياء وظواهرها، ولمناسبة قوله (وهي تفور) بخلاف ما في الفرقان (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا) فاثبت الزفير، والذي هو في الأصل: إخراج الأنفاس بدفعٍ وشدة بسبب ضغط التنفس؛ ليناسب سياقها من تعداد النعم الظاهرة، وأيضًا يؤخذ من مجموع الآيتين أنّ لجهنّم شهيقًا وزفيرًا علىٰ طريقة الاحتباك، خاصة وأنّ الصفتين وردتا في سورتين افتتاحهما واحد (تبارك).

وزيادة في إفراط الغضب عليهم، قال سبحانه: (تكاد تميّز من الغيظ) أي: يقرب أن يتمزق تركيبها وينفصل بعضه من بعض من شدة الغضب عليهم، فقد شُبّه اشتعال النّار بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم باغتياظ المغتاظ علىٰ غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية، وقال: (تميّز) بحذف احدىٰ التاءين، والأصل (تتميّز) إشارة إلىٰ أنّه يحصل افتراق واتصال علىٰ وجه من السرعة لا يكاد يدرك حقّ الإدراك وذلك كله لغضب سيدها[1].

وبعد بيان حال جنهم أتبع الله – سبحانه- حال أهلها وما يلقون فيها من تقريع وتوبيخ، ومما يدل علىٰ زيادة العذاب وإثارة الفزع للكفار، ذلك النظم القرآني من حيث مجيء (كلما) مركّب من (كل) اسم دال علىٰ

المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن بأصواتها ومعانيها، ١١٨٠، ط: مكتبة الآداب- القاهرة.

(١) روح البيان لإسماعيل حقى ١٠/ ٨٣.

الشمول ومن (ما) الظرفية المصدرية وهي حرف يؤول مع الفعل الذي بعده بمصدره، أي: في كل وقت إلقاء فوج يسألهم خزنتها، وباتصال (كل) بحرف (ما) المصدرية الظرفية اكتسب التركيب معنىٰ الشرط وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلىٰ جملتين مرتبة إحداهما علىٰ الأخرىٰ، وجيء بفعلي " ألقىٰ" و "سألهم" ماضيين؛ لأنّ أكثر ما يقع الفعل بعد " كلما" أن يكون بصيغة المضي؛ لأنّها لما شابهت الشرط استوىٰ الماضي والمضارع معها؛ لظهور أنّه للزمن المستقبل، فأوثر فعل المضي؛ لأنّه أخفّ، وجيء بالضمائر العائدة إلىٰ الفوج ضمائر جمع في قوله: "سألهم" لتأويل الفوج بجماعة أفراده، والاستفهام في " ألم يأتكم نذير" للتوبيخ والتنديم ليزدادوا عذابًا فوق العذاب وحسرة علىٰ حسرة[1].

وفيٰ التعبير عن سوق الكافرين إلىٰ جهنم بالإلقاء: ما يشير إلىٰ هوان هؤلاء المجرمين، وعدم احترام آدميتهم، وأنّهم إنّما يعاملون معاملة الأشياء المستغنىٰ عنها، حيث تطرح بعيدًا بغير حساب، فتقع حيث تقع، غير ملتفت إليها[2].

وإنّما قال سبحانه: (سألهم خزنتها)، ولم يقل: (وقال لهم خزنتها)؛ لأنه أوقع في النفوس؛ إذ فيه إجمال أولًا وتفصيل ثانيًا؛ لأنّ قوله (ألم يأتيكم

(١) التحرير والتنوير٢٩/ ٢٤، ٢٥.

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٥/ ١٠٥٦.

نذير) بيان للسؤال المذكور، فالمعنىٰ: سألهم خزنتها قائلين: (ألم يأتيكم نذير)[1].

وقد جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها (بلىٰ قد جاءنا نذير) مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير، وتحسرًا علىٰ ما فاتهم من السعادة في تصديقهم، وتمهيدًا لما وقع منهم في التفريط تندمًا واغتمامًا علىٰ ذلك، أي: قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي: واحد حقيقة أو حكمًا كنذر بني إسرائيل، فإنهم في حكم نذير واحد، وزيادة التحقيق بـ (قد) للتأكيد الذي هو مناط الندامة والاعتراف بالخطأ[2].

وإنما قال سبحانه عنهم: (وقلنا ما نزل الله من شيء)، بإسناد الفعل إلىٰ الله، بينما في سورة يس: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ [3] ﴾ فأسند الفعل إلىٰ الرحمن ؟ لأنّ في سورة الملك ذكر العذاب ومعاقبة الكفار فلا يناسب إزاء كل هذا التهديد والتحذير للكافرين أن يقرنه باسم الرحمن، كما أنّ القائلين لهذا القول إنما هم في أطباق النيران، وقد اشتد غضب الله عليهم ولم تدركهم رحمته فلا يناسب ذكر الرحمن هنا، وأنّهم قد يئسوا من رحمته سبحانه، بخلاف ما في سورة يس فإنّ القائلين إنّما هم في الدنيا وهم يتقلّبون في نِعم الله ورحمته، فناسب كلّ تعبير موطنه[4].

---

(١) حاشية القونوي على البيضاوي١٩/ ١٩٢.

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٥، تفسير الآلوسي١٥/ ١٦، التحرير والتنوير٢٩/ ٢٦.

(٣) سورة يس من الآية (١٥).

(٤) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، د/ فاضل صالح السامرائي،١١، ١٢ بتصرف.

وإنّما كان التعبير بـ (نزّل) دون (أنزل) إشارة إلىٰ إنكارهم الفعل بالاختيار الملازم للتدريج، وتعميم المنزّل مع ترك ذكر المنزّل عليه ملوحٌ بعمومه حتمًا، ومما يدّل علىٰ مبالغتهم في التكذيب وتماديهم في الضلال جمع ضمير الخطاب (إن أنتم) مع أنّ المخاطب كل فوج نذيره، ففيه إشارة إلىٰ أنّ جواب الكل للكل كان متحدًا مع افتراقهم في الزمان حتّىٰ كأنّهم كانوا علىٰ ميعاد[1] ومما يدل علىٰ مبالغة تكذيبهم للرسل ذلك القصر المستفاد من النفي والاستثناء.

ولمّا كان مدار التكليف علىٰ أدلة السمع والعقل جُمع بينهما، وقدّم السمع علىٰ العقل في قولهم: (وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل)؛ لأنّ السمع أعظم مدارك العقل الذي هو مدار التكليف، ورعيًا للترتيب الطبيعي؛ لأنّ سمع دعوة النذير هو أول ما يتلقاه المنذرون، ثمّ يعملون عقولهم في التدبير فيها، ولأنّ الأدلة السمعيّة أولىٰ بالاتباع[2]، ولذلك لم يذكروا البصر؛ إذ الكلام في تكذيبهم رسلهم، فالتأسف علىٰ عدم سمع كلامهم وعدم تعقلهم، ولا مدخل للبصر فيه [3]، ومما يدل علىٰ زيادة تحسرهم وتندمهم إعادة فعل القول وأنّ هذا كلام قاله بعضهم لبعض في حالة تجامعهم في النار غير الذي وقع جوابًا علىٰ سؤال خزنة جهنّم، ولذلك جاء التعبير (في أصحاب

---

(١) نظم الدرر٢٠/ ٢٣٧، تفسير أبي السعود٩/ ٥، تفسير الآلوسي١٥/ ١٦.

(٢) نظم الدرر٢٠/ ٢٣٧، التحريروالتنوير٢٩/ ٢٨، تفسير المظهري١٠/ ٢٣.

(٣) حاشية القونوي على البيضاوي١٩/ ١٩٥.

السعير) دون (من أصحاب السعير)؛ لأنهم قالوا الكلام وهم يعذبون فهم في عدادهم وجملتهم.

ثم أورد سبحانه السبب الذي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الأنبياء عن طريق أقوىٰ الأدلة وهو الاعتراف بالذنب، وإنّما أفرد الذنب ولم يُجمع؛ إشارة إلىٰ أنّهم كانوا كلّهم في المبالغة في التكذيب علىٰ حدّ واحد، أو أنّ الإفراد أشد في التحذير من كثير الذنوب وقليلها حقيرها وجليلها[1]، والتعبير بـ (فسحقًا) بالإتيان بفاء التسبب؛ لبيان أنهم أهلٌ لأنْ يدعىٰ عليهم بالإبعاد والهلاك والتعجب من بُعدهم عن الحقّ وعن رحمة الله – تعالىٰ–، والإتيان باسم المصدر النائب عن فعله، أي: أسحقهم الله سحقًا؛ زيادة في الألم النفسي فوق العذاب الحسي، كما أفاد زيادة العذاب عليهم الإتيان بوضع الظاهر موضع المضمر (لأصحاب السعير)، ولم يقل: (فسحقًا لهم)، وإنّما غلّب سبحانه أصحاب السعير والذي هو حال الشياطين، فإن الظاهر يقتضي أن يُقال: (فسحقًا لهم ولأصحاب السعير)؛ حتىٰ لا يتوهم تفاوت الإبعادين بأن يكون إبعاد الكفرة دون إبعاد الشياطين، وأيضًا لما فيه من جعل الكفار من قبيل الشياطين، فكأنهم هم بأعيانهم، وفيه من المبالغة ما لا يخفىٰ[2].

(١) نظم الدرر ٢٠/ ٢٣٨.

(٢) تفسير الآلوسي ١٥/ ١٨، ١٩.

النقطة الثانية: تبشير المؤمنين وما يكون لهم من مغفرة وأجر كبير، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾

علاقة الآية بما قبلها:

بعد الحديث عن عقاب الكافرين أتبعه الله سبحانه بثواب المؤمنين جريًا علىٰ سنن أساليب القرآن من تعقيب الرهبة بالرغبة، وحتىٰ يتحقق الابتلاء الوارد في أول السورة (ليبلوكم أيكم أحسن عملًا).

من لطائف النّظم القرآني:

التعبير بالخشية بأسلوب المضارع؛ لأنّ الخشية تقتضي الخوف والرجاء، ولتجدد هذه الخشية في قلوبهم آن بعد آخر، وعدل عن سياق الجلالة إلىٰ الربوبية؛ تنبيهًا علىٰ أنّهم غلب عليهم النظر إلىٰ الإحسان فقادهم إلىٰ الشكر، والتقييد " بالغيب " لأنّ الخشية في الغيب أدلُّ علىٰ الإخلاصِ وأبعَدُ من النِّفاقِ، ولما فيه من التصديق بالذي أُخبروا به من أمر المعاد وأحواله، وقدّم المغفرة تطمينًا لقلوبهم؛ لأنّهم يخشون المؤاخذة علىٰ ما فرط منهم، ثم أعقبت بالأجر العظيم، فكان الكلام جاريًا علىٰ قانون تقديم التخلية علىٰ التحلية، وتنكير " مغفرة" للتعظيم، وتقديم المسند علىٰ المسند إليه في جملة " لهم مغفرة" ليتأتىٰ تنكير المبتدأ، ولإفادة الاهتمام، وللرعاية علىٰ الفاصلة[1].

(١) التحرير والتنوير٢٩/ ٢٩.

النقطة الثالثة: سعة علم الله – تعالىٰ –، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

علاقة الآيتين بما قبلهما:

فيهما عودٌ علىٰ بدء إلىٰ التنديد بالكفار وإنذارهم، وأنّه تعالىٰ مطلع علىٰ الضمائر والسرائر، ولمناسبة حكاية أقوالهم في الآخرة بذكر أقوالهم في الدنيا، وهي الأقوال التي كانت تصدر منهم بالنيل من رسول الله ﷺ فكان الله يطلع علىٰ أقوالهم.

من لطائف النظم القرآني:

كونها جاءت معطوفة من عطف غرضٍ علىٰ غرض، وفيه بيانٌ لتساوِي السرِّ والجهرِ بالنسبةِ إلىٰ علمِهِ تعالىٰ، وإنّما قدّم السرِّ علىٰ الجهرِ؛ للإيذانِ بافتضاحِهِم، ووقوعِ ما يحذَرونه من أولِ الأمرِ، والمبالغةِ في بيانِ شمولِ علمِه المحيطِ لجميعِ المعلوماتِ كأنَّ علمه تعالَىٰ بما يُسرّونه أقدرُ منهُ بما يجهرونَ بهِ مع كونِهما في الحقيقةِ علىٰ السويةِ، أو لأنَّ مرتبةَ السرِّ متقدمةٌ علىٰ مرتبةِ الجهرِ؛ إذْ مَا من شيءٍ يُجهرُ بهِ إلا وهُو أو مباديهِ مُضْمرٌ في القلبِ يتعلقُ بهِ الإسرارُ غالبًا فتعلُّقُ علمِه تعالَىٰ بحالتِهِ الأُولىٰ متقدمٌ علىٰ تعلقهِ بحالتِهِ الثانيةِ، وقولهُ تعالَىٰ " إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور" تعليلٌ لما قبلَه وتقريرٌ لهُ، ومما يدل علىٰ أنّه مبالغٌ في الإحاطةِ بمضمراتِ جميعِ الناسِ وأسرارِهم الخفيةِ المستكنّةِ في صدورِهِمْ بحيثُ لا تكادُ تفارقُها أصلاً،

التعبير بعليم علىٰ صيغةِ الفعيلِ، وتحليةِ الصدورِ بلامِ الاستغراقِ، ووصفِ الضمائرِ بصاحبتِيها[١].

ثمّ ذكر الدليل علىٰ أنّه عالم فقال تعالىٰ: " ألا يعلم من خلق " فالخالق لا بد وأن يكون عالمًا بما خلقه وبحقيقة ذلك المخلوق كيفيّة وكميّة، والاستفهام للإنكار وإنكار النفي اثبات للعلم، فهو تأكيد بما سبق وتذييل متصل بما قبله تعليلًا له، وحذف المفعول للتعميم، ووصف نفسه بأنّه لطيف خبير؛ لبيان أنّه سبحانه لطيف بعباده، ومن لطفه بهم أنّه يوصل إليهم ما يحتاجون إليه بسهولة مع علمه بعصيانهم[٢].

النقطة الرابعة: من مظاهر نعم الله – تعالىٰ– علىٰ عباده، وذلك في قوله تعالىٰ :﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

علاقة الآية بما قبلها: استئناف فيه عودٌ إلىٰ الاستدلال، وإدماجٌ للامتنان، فإنّه سبحانه لمّا ضرب لهم بخلق أنفسهم دليلًا علىٰ علمه الدال علىٰ وحدانيته

---

(١) تفسير أبي السعود٩/ ٦، تفسير الآلوسي١٥/ ٢٠، التحرير والتنوير٢٩/ ٣٠.

(٢) روح البيان١٠/ ٨٧، السراج المنير للخطيب الشربيني٤/ ٣٤٣، قال الغزالي: { إِنَّمَا يسْتَحق اسْم اللطيف من يعلم دقائق الْمصَالح وغوامضها وَمَا دق مِنْهَا وَمَا لطف ثمَّ يسْلك فِي إيصالها إِلَى المستصلح سَبِيل الرِّفْق دون العنف، والخبير: الَّذِي لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء وَلَا تتحرك ذرة وَلَا تسكن وَلَا تضطرب نفس وَلَا تطمئِن إِلَّا وَيكون عِنْده خَبَرهَا وَهُوَ بِمَعْنى الْعَلِيم وَلَكِن الْعلم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سمي خبْرَة وَيُسمى صَاحبهَا خَبِيرا }. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ١٠١، ١٠٣.

شفّعه بدليل خلق الأرض التي هم عليها، مع المنّة بأنّه خلقها هينة لهم صالحة للسير فيها مخرجة لأرزاقهم، وذيّل ذلك بأنّ النشور منها وأنّ النشور إليه لا إلىٰ غيره.

من لطائف النّظم القرآني في الآية:

أنّه لما كان هناك من يعتقد أنّ الأصنام خلقت الأرض؛ لأنّ اعتقادهم إلهيتها يقتضي إلزامهم بهذا الظنّ الفاسد وإن لم يقولوه ؛ لذلك جاء بهذا القصر المستفاد من جزأي: (هو الذي)[1] بخلاف خلق الموت والحياة، وخلق السموات، وتقديمُ " لكُم " علىٰ مفعُولَي الجعلِ " الأرض ذلولًا" للاهتمامِ بِما قُدمَ والتشويق إلىٰ ما أخر؛ لتبقَىٰ النفسُ مترقبةً لورودِهِ إذ هو من منافعهم[2]، والتعبير بـ (ذلولا) علىٰ صيغة فعول؛ للمبالغة بما أوجد فيها من أسباب الحياة، ووسائل المعيشة، فأتىٰ بالفاء؛ لترتيب الأمر علىٰ الجعل المذكور، وفىٰ تعدية الفعل «امشوا» بحرف الجر «في» بدلا من «علىٰ»؛ إشارة إلىٰ أن ينفذ الإنسان في أعماق هذه المناكب، وإلىٰ أن يعمل علىٰ كشف أسرارها، لا مجرد اتخاذها طريقا يمشىٰ عليه[3]، وعبّر عن الانتفاع بما أنعم به سبحانه بالأكل؛ لأنّه الأهم الأعم، فهو مجاز عن الالتماس من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، ومناسبة ذكر النشور، هو: ذكر خلق الأرض، فإن البعث يكون من الأرض، فهي بمنزلة التذييل[4].

---

(١) التحرير والتنوير٢٩/ ٣١.

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٧، تفسير الآلوسي١٥/ ٢٢.

(٣) التفسير القرآني للقرآن١٥/ ١٠٦١.

(٤) تفسير الآلوسي١٥/ ٢٢، التحرير والتنوير٢٩/ ٣٢.

المحور الثالث: التهديد والوعيد للمكذبين المعاندين : وفيه ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: إظهار التحدي والإعجاز، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

علاقة الآيات بما قبلها: أنّه لمّا تقرر أنّه تعالىٰ خالق الأرض ومذللها للنّاس، وتقرر أنّ الكفار ما رعوا خالقها حقّ رعايته، فقد استحقوا غضبه وتسليط عقابه، ففيها انتقال من الاستدلال إلىٰ التخويف.

من لطائف النظم القرآني: أنّ الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتحذير[(١)]، وخص السماء بالذكر جارٍ علىٰ عرف تلقي البشر أوامر الله – تعالىٰ–، ونزول القدر بحوادثه ونعمه ونقمه وآياته من تلك الجهة، وعلىٰ ذلك صار رفع الأيدي والوجوه في الدعاء إلىٰ تلك الناحية[(٢)]، وإفرادها؛ لأنّ المشاهد لنا سماء واحدة، ولأنه إذا حصل التخويف بمن في السماء، فأحرىٰ أن يحصل بمن في الجميع، فيكون من باب التنبيه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ[(٣)]، وإنّما قدّم التوعد بالخسْف علىٰ التوعد بالحاصب؛ لأنّه لما

---

(١) التحرير والتنوير٢٩/ ٣٣.

(٢) تفسير ابن عطية٥/ ٣٤١ ، تفسير أبي حيان ١٠/ ٢٢٦،قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: { إن قلتَ: كيف قال: " مَنْ في السَّماءِ " مع أنّه تعالى ليس فيها ولا في غيرها، بل هو تعالى منزَّهٌ عن كلَ مكان؟! قلتُ: المعْنى: مَنْ ملكوتُه في السَّماء التي هي مسكنُ ملائكته، ومحلُّ عرشه وكرسيِّه، واللوحُ المحفوظ، ومنه تنزلُ أقضيتُه وكتُبُه }. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٥٧١.

(٣) تفسير ابن عرفة ٤/ ٢٦٢.

كانت الأرض التي خلقها الله – تعالىٰ- لهم ومهدها لاستقرارهم يعبدون عليها غير خالقها، ويعظمون فيها الأصنام التي هي من شجرها وحجرها، خوّفهم بما هو أقرب إليهم من الأشياء، والتخويف بالحاصب من السماء التي هي مصاعد كَلِمِهم الطيبة، ومعارج أعمالهم الصالحة؛ لأجل أنهم بدّلوهما بسيّئات كفرهم وقبائح أعمالهم(١)، ومما يدل علىٰ تحقق هذا التهديد ووقوعه تفريع الخسف علىٰ مور الأرض من باب تفريع الأثر علىٰ المؤثر لأن الخسف يحدث المور، " فإذا هي تمور" مؤذن بتشبيه حالة الخسف المتوقع المهدد به بحالة خسف حصل بجامع التحقق(٢)، ولما كان هذا الكلام إنذارًا عظيمًا ووعظًا بليغًا شديدًا، أضرب عن التهديد بما ذكر في الأرض، إلىٰ التهديد بوجه آخر، ثم زاد تهديدًا من نوع آخر وهو قوله: " فستعلمون كيف نذير"، والمعنىٰ: هل حصل لكم أمان من هذين؛ وإذ لم يحصل لكم أمان منهما فما معنىٰ تماديكم في الشرك والتكذيب، إنّكم ستندمون ولات ساعة مندم.

النقطة الثانية: الاعتبار بالسابقين من الأمم الماضية، وذلك في قوله تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾

علاقة الآية بما قبلها:

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي ٣/ ١٢٨٩، فتوح الغيب للطيبي١٥/ ٥٥٢.

(٢) التحرير والتنوير٢٩/ ٣٤.

تقوية في تأكيد العذاب، وزيادة في التهديد، وذكر ما يشدّ من عضد التحذير، بضرب المثل بما حلّ بالأمم السابقة، وأنّ في الأمم الماضين المخسوف بهم والمرسل عليهم الحواصب إلىٰ غير ذلك من أنواع عذابه – عزّ وجلّ – ما يسلب المشركين الطمأنينة والوقار لو اعتبروا.

من لطائف النّظم القرآني:

مجيء الجملة معطوفة بحرف العطف، وقد أكّد الخبر باللام و " قد" لتنزيل المعرض بهم منزلة من يظن أنّ الله عاقب الذين من قبلهم لغير جُرم أو لجرم غير التكذيب، فهو مفرع مؤكّد(١)، والالتفات إلىٰ الغيبة؛ لإبراز كمال الإعراض عنهم، وأنهم جديرون بإبعادهم وكأنهم غير موجودين، وقد دلّهم علىٰ غاية هول وفظاعة العذاب، بقوله: " فكيف كان نكير"، وفيه من المبالغة في تسلية الرسول ﷺ وتشديد التهويل ما لا يخفىٰ (٢)، وإنما قدّم النذير أولًا؛ لصدارته.

النقطة الثالثة: توبيخ الكفار لتعطيل آلات الحواس والفهم في التعرف علىٰ الله – تعالىٰ –، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧.

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٨، تفسير الآلوسي ١٥/ ٢٥.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

ثم أورد سبحانه برهانًا يدلّ علىٰ قدرته علىٰ إيقاع ما هددهم وخوفهم به، فقال أولًا: " أو لم يروا إلىٰ الطير"، وثانيًا: " قل هو الذي أنشأكم"، وثالثًا: " قل هو الذي ذرأكم" ومتىٰ ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرًا علىٰ الانتقام منهم بما يشاء[1].

من لطائف النّظم القرآني:

ذكر الطير عقب الخسف وإرسال الحاصب؛ تصوير لقدرته تعالىٰ الباهرة، وشمول رحمته، وإيماء إلىٰ أنّ دفع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل أسبابه منهم إنّما هو تلك الرحمة البالغة التي أمسكت الطير في الهواء، وتذكير بما قد أهلك الله – تعالىٰ- بذلك أصحاب الفيل حينما رمتهم به الطير، ففي ذلك إذكار قريش بتلك القصة[2]، ولذلك جاءت الآية مصدرة بالاستفهام الإنكاري، وبذكر أثر من آثار الرحمة الواسعة بإمساك الله تعالىٰ للطير، وحفظها من السقوط علىٰ الأرض، ولمّا اقتضت الحكمة الإلهية ربط المسببات بأسبابها ذكر الصف والقبض، ولما كانت سورة الملك قائمة علىٰ إبراز عظمة الله تعالىٰ في مخلوقاته، والدعوة بالنظر في هذه المصنوعات، وتوبيخ من ترك التأمل من المشركين وغيرهم فإن السورة أطنبت في ذكر أوصاف الطير بخلاف ما في نظيرتها مما تحدثت عن الطير

(١) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤/ ٤٢٧.

(٢) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للكوراني، ٢٠٠، تفسير الآلوسي١٥/ ٢٨.

وهي النحل في قوله تعالىٰ: " أَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[(١)]"، وذلك بحسب مقتضىٰ اختلاف المقامين في السورتين، واختلاف النظم فيهما، ففي سورة النحل الإطار العام فيها تعداد النعم وتسخيرها فقد ورد مادة (سخر) في أكثر من موضع؛ لذا ناسب أن يذكر فيها (مسخرات) ولما كان التسخير لم يرد نسبته في القرآن إلىٰ لفظة الرحمن جيء بلفظ الجلالة في سورة النحل، وسورة النحل أسبق نزولا ففيها إيقاظ العقول إلىٰ النظر ما في خلقة الطير من الدلائل، فلما لم يتفطنوا سلك في سورة الملك مسلك الإطناب بزيادة ذكر أوصاف ثلاثة: ما أفاده قوله: (فوقهم) من كونها حالة عجيبة مخالفة لبقية المخلوقات، و(صافات) بصيغة الاسم؛ لأنه أكثر أحوالها عند الطيران، فناسبه الاسم الدال علىٰ الثبات، و(يقبضن) بصيغة الفعل المضارع؛ للدلالة علىٰ التجدد؛ للاستعانة بقبض الأجنحة علىٰ زيادة التحرك عندما يحسسن بتغلب جاذبية الأرض علىٰ حركات الطيران(٢)، وإذا كانت هذه قدرته تعالىٰ فهذا يقتضي التيقظ والتبصر، ولذلك قال: " (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) وتقديم " بكل شيء" علىٰ " بصير" للفاصلة أو للحصر ردًّا علىٰ من يزعم عدم شمول علمه تعالىٰ شأنه[(٣)]، وبعد توبيخهم علىٰ تركهم التأمل في عجائب قدرته فيما يشاهدون من أحوال الطير أتبعه

---

(١) سورة النحل الآية (٧٩).

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم،١٨ .

(٣) روح المعاني ١٥/ ٢٦ .

بتوبيخ معبوداتهم وأنها لا تملك لعابديها نصرًا ورزقًا، ففي هذا تبكت للمشركين بنفي أن يكون لهم ناصر غير الله – تعالىٰ- صاحب الرحمة الواسعة، ومما يدل علىٰ هذا التبكيت والتعجيز الاستفهام، و" من" مبتدأ و" هذا" خبره والموصول مع صلته صفته، وإيثار " هذا"؛ لتحقير المشار اليه والمعنىٰ: بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزًا نصر الرحمن[1]، وذيّل الآية بما يدل علىٰ أنّ شأن الكافرين في غرور من الغفلة عن توقع بأس الله – تعالىٰ-، والالتفات إلىٰ الغيبة؛ للإيذان باقتضاء حالهم الإعراض عنهم وبيان قبائحهم للغير، والإظهار في موضع الإضمار؛ لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به[2]، ولما كانت قضية الرزق حاجة البشر إليه مستمرة؛ جيء بالصلة فعلًا مضارعًا؛ لدلالته علىٰ التجدد؛ لأنّ الرزق يقتضي التكرار، كما خولف بين نظم الآية وما قبلها إذ لم يقل: " هو يرزقكم" بالبناء علىٰ المضمر، كما في التي قبلها؛ لأنّ هذا لم يدعه أحد، ولا يخالف فيه، خلاف الأول ونحوه، وقرن هذا بأداة الشرط، فقال: (إِنَّ أَمْسَكَ رِزقَهُ)، ولم يقرن الأول بها، فلم يقل: أم من هذا الذي ينصركم إن لم ينصركم الرحمن؛ لأنّ الرزق لازم لهم لابد لهم منه؛ إذ لَا قوام لهم دونه، فإمساكه عنهم مستبعد أو ممتنع، إذ لَا حياة لهم إلا معه، فأتىٰ فيه بأن الداخلة علىٰ المحال أو القريب منه، وأما النصرة علىٰ الأعداء فليست

(١) روح البيان ١٠/ ٩٢.

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٨، تفسير الآلوسي ١٥/ ٢٧.

لازمة، بل قد تكون وقد لَا تكون، وختم الأول بقوله تعالىٰ: (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)، وتعقب هذا بقوله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)؛ لأن النصرة دالة علىٰ العتو والقوة، وهم ادعوهما لأنفسهم وزعموا أنّهم ينصرون، فلو عقب بقوله: (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)؛ لتوهم أنّ لهم قوةً واستنفارًا لأنفسهم، فتحرز من ذلك بقوله تعالىٰ: (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)؛ إشارة إلىٰ أنّهم اغتروا، فتوهموا أنّ لهم قوة وتجلدًا، وأنّهم لَا يغلبون، بل ينصرون، ولما كان الرزق محققا نسبة إلىٰ الله – تعالىٰ- وهم مقرون بذلك وما ادّعوا نسبته إليهم أصلا، عقبوا ببيان أنّهم تعنتوا أو كذبوا ونفروا، وقوله تعالىٰ: (وَنُفُورٍ)؛ إشارة إلىٰ شدة جهلهم وغباوتهم أنّهم فعلوا فعل البهائم في القول[1].

وزيادة في التوبيخ والإنكار عليهم وتسفيه أحلامهم ضرب الله – تعالىٰ- مثلًا للمشرك والمؤمن توضيحًا لحالهما وتحقيقًا لشأن مذهبهما، وذلك عقب ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور، وركوبهم متن عشواء العتو والنفور، وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة إلىٰ جهة يتوهم فيها رشد في الجملة[2]؛ ليكون ذلك بمثابة الإقرار بأن الماشي سويا علىٰ صراط مستقيم أهدىٰ فكذلك المؤمن الذي يمشىٰ علىٰ بصيرة علىٰ مسلك العقل والنقل أهدىٰ من الكافر الذي لا يسمع ولا يعقل، وذلك لأنّ الكلام وارد في مقام المحاجة والاستدلال، والاستفهام تقريري، وأفعل التفضيل (

(١) تفسير ابن عرفة ٤/ ٢٦٣، ٢٦٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ٩، فتح البيان في مقاصد القرآن١٤/ ٢٤٤.

أهدىٰ)، وتكرر لفظة المشي، ولم يصرح بطريق الكافر بل أشير إليه بما دلّ علىٰ توعره وعدم استقامته؛ للإشعار بأنّ ما عليه لا يليق أن يسمىٰ طريقًا.

ثم أورد البرهان الثاني والثالث في قدرته تعالىٰ علىٰ تحقيق ما خوفهم به وهددهم؛ إيضاحًا للحجة، وقطعًا للمعذرة، وذمًا لهم علىٰ عدم شكر نعم الله – تعالىٰ–، فذكر سبحانه أنه قد جعل لهم ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات وذكر الانتشار في الأرض، ووجه إفراد السمع مع جمع الأبصار؛ لأنّه مصدر يطلق علىٰ القليل والكثير[1]، وإنّما خالف النظم بأن وجّه الخطاب إليهم علىٰ لسان رسولهم محمد ﷺ تفننا في البيان، وتنشيطًا للأذهان، وترفيعًا لقدر نبيه ﷺ بإعطائه حظًّا من التذكير معه، وللاهتمام بالغرض المسوقة فيه تلك الأقوال أعيد فعل " قل"(٢)، وإنما عبّر بـ " أنشأكم" و"ذرأكم" تمهيدًا لأمر البعث، ولبيان صحة الحشر والنشر، ولما كانت القدرة علىٰ الخلق ابتداء توجب القدرة علىٰ الإعادة، قال سبحانه: " وإليه تحشرون" بتقديم المعمول للاهتمام، وليثبت أن جميع الدلائل المذكورة إنما كان لإثبات هذا المطلوب، وتحقيق ما ادعاه من الابتلاء في أول السورة .

المحور الرابع: إثبات البعث ووقوعه، وأنّ الساعة لا يعلمها إلا الله – تعالىٰ–، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ

(١) فتح القدير للشوكاني٥/ ٣١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٧.

إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

هو بيان لما انتهىٰ إليه أمر هؤلاء المشركين، بعد هذه الوقفة الطويلة معهم، وبعد هذه المراجعة لحسابهم المغلوط، الذي اطمأنوا إليه، إنّ كل هذا لم يزحزحهم عن موقف الضلال الذي هم فيه، وإنهم مازالوا علىٰ تكذيبهم بالبعث، والحساب والجزاء، فيسألون هذا السؤال، الذي يدل علىٰ رفضهم لكل ما قدم إليهم من أدلة، وما عرض عليهم من آيات[1].

من لطائف النظم القرآني:

استعجال الكفار العذاب بتجدد هذا القول تجديدًا متكررًا كما يدل عليه مجيء الفعل مضارعًا (يقولون) مصاحبًا باستهزاء وتكذيب يوضحه الاستفهام والإشارة: (متىٰ هذا الوعد) والتعبير بلفظ الوعد دون الموعود استنجازًا له؛ لأن شأن الوعد الوفاء[2]، وزيادة في الاستهزاء والسخرية جيء بجواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم صادقين فأخبرونا به أو فبينوه لنا، ولما كانت وظيفة الرسول ﷺ التبليغ أمره الله- تعالىٰ- أن يجيبهم بالجواب اللائق به لا بهم فلا يقابل استهزائهم باستهزاء، وفي ذلك دلالة نبوته، وآية رسالته، واكتفىٰ بالإنذار؛ ليناسب حالهم، وأن هذا الموعود متحقق وقوعه وآتٍ لامحالة، ولذا جيء بالماضي " رأوه"، وقد ظهر علىٰ وجوههم آثار الاستياء من الكآبة والغم والانكسار والحزن، فذكر الوجه؛

(١) التفسير القرآني للقرآن١٥/ ١٠٦٨.

(٢) التحرير والتنوير٢٩/ ٤٨.

لبيان أن الندامة التي أسروها حين رأوا العذاب في البداية، قد ظهر نتائجها وآثارها، وأنّه ما نالوا ذلك إلا بسبب كفرهم، لذلك جيء به ظاهرًا مع موصوله؛ زيادة في ذمهم بالكفر، ومما يدل علىٰ تشديد العذاب بهم وتوبيخهم علىٰ فعلهم عدم تعيين القائل، والقصر المستفاد من تعريف جزأي الإسناد تعريض بهم بأنهم من شدة جحودهم بمنزلة من إذا رأوه حسبوه شيئًا آخر فقيل لهم : " هذا الذي كنتم به تدعون[1]".

المطلب الثالث: (الخاتمة) وفيها تلقين النبي ﷺ ثمرات الإيمان بقدرة الله – تعالىٰ–، والتنديد بالمشركين، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

هذه الآيات متصلة بما قبلها سياقًا وموضوعًا، أما سياقا فلما فيها من تكرار الأمر بالقول؛ تنبيهًا علىٰ أن كل جملة صدرت به كافية في الدلالة علىٰ مقصود السورة وعائدة إليه؛ لما اشتملت عليه من باهر القدرة ووافر العظمة، وموضوعًا؛ لبيان أنه سبحانه هو الذي يتولىٰ حساب هؤلاء الكافرين، ويأخذهم بالعذاب الذي أعدّ لهم، وأنها جاءت خاتمة للسورة؛ لما فيها من التنبيه علىٰ شدة الحذر من مكر الله وعدم الاغترار به، فهو سبحانه الذي بيده الأمر كله، فكما خلق الموت والحياة، فبقدرته الهلاك

(١) المرجع السابق٢٩/ ٥١.

والنجاة، وأنّ الناس فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير، فالمؤمنون أقروا، والكافرون اغتروا، ويوم القيامة سيعلمون من هو في ضلال مبين، مَنْ أقرّ أم من اغترّ، وأنّ الذي زيّن السماء ومهّد الأرض وخلق السمع والبصر قادر علىٰ أن يُذهب بالماء فلا يقدر أحد علىٰ الإتيان به ثانية.

من لطائف النّظم القرآني:

أنّ الاستفهام في قوله: " أَرَأَيْتُمْ " للإنكار والتعجيب من سوء تفكيرهم، والرؤية علمية، والجملة الشرطية بعدها سدت مسد المفعولين، وفيه دلالة علىٰ أن عذاب الله واقع، ليس له دافع، وأن الكافرين يرونه بعيدًا وهو في الحقيقة قريب، ولذا أقيم الظاهر مقام المضمر، فقال: (فمن يجير الكافرين) ولم يقل: " فمن يجيركم"؛ للدلالة علىٰ أنه موجب البوار محقق، ويتضمن ذلك حثهم علىٰ طلب الخلاص بالإيمان، وأنّ فيما هم فيه شغلًا شاغلًا عن تمني هلاك النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين[1]، وحيث إن الإيمان هو قمة دعوة الرسول قدمه علىٰ التوكل، ولأنّ في تقديمه تعريض بالكفار وتبكيت لهم علىٰ كفرهم، وأنّ مجرد الإيمان بالله – تعالىٰ- ناجٍ من الهلاك والعذاب لم يقدّم عليه معموله، بخلاف التوكل فقال: " عليه توكلنا"؛ لإفادة الاختصاص، فمن جملة عناد الكافرين إنكارهم اسم الرحمن فلما لم يرعووا عما هم عليه ذكر وصف الرحمن في هذه السورة أربع مرات[2]، وتكرير الأمر بـ "قل"؛ لتأكيد المقول وتنشيط المقول له، وخُص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه –تعالىٰ-؛ لأن الماء أهون

(١) تفسير الآلوسي١٥/ ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير٢٩/ ٤٠.

موجود وأعز مفقود[1]، وفيها عود علىٰ بدء؛ لأنّه لمّا افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته، وتمام قدرته، وتفرده في مملكته، ودلّ علىٰ ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء، ختم بمثل ذلك بالماء الذي وجوده هو سبب للحياة وعدمه سبب للموت، فالمقصود أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قُبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر[2].

(١) روح البيان ١٠/ ٩٨.

(٢) نظم الدرر ٢٠/ ٢٧٣، فتح البيان١٤/ ٢٤٧.

الخاتمة

الحمد لله كما علّمنا أن نحمد، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله محمد، وعلىٰ آله وصحبه أهل المجد والسؤدد.

وبعد ....

فهذه الجولة السريعة في رياض القرآن الكريم الذي لا يزال بكرًا لم يفض، بحرًا لا ينضب، نورًا لا يخفت، شمسًا لا تغيب، من خلال ذلك التناسق الكامل، والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنىٰ الذي يراد بيانه وتوضيحه، والذي هو: النظم القرآني، فالحروف والكلمات والجمل في القرآن الكريم تتآلف وتنسج مع بعضها فتكون في قالب محكم، وهي كلها متوجهة إلىٰ الغرض المنشود من حيث الدلالة علىٰ المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.

وقد خلصت الدراسة إلىٰ جملة من النتائج، وهي علىٰ النحو التالي:

١- أن النظم القرآني مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة الإعجاز، إذ أنّها وليدة الدراسة في هذا الباب.

٢- أنّ علم التفسير له أصول يستمد منها كبقية العلوم التي لا بد لها من أصول وقواعد تقوم عليها، وأهم القواعد التي يقوم عليها علم التفسير العلوم العربية وخاصة البلاغة منها؛ إذ هي وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز.

٣- عناصر النظم القرآني تتألف من: المفردة القرآنية، والتي هي أساس النظم القرآني؛ لأنّها مفتاح النّص، فالكلمة أصل الدقة في التعبير،

والوضوح في المعنىٰ، ثم الجملة القرآنية والتي هي أعلىٰ درجات البلاغة، ومنتهىٰ زمام الفصاحة؛ وعليها مدار الإعجاز؛ لما فيها من التلاؤم والاتساق بين كلماتها، فدراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالًا مباشرًا بالمفرد القرآنية، التي هي أساس الجملة، ومنها تركيبها، كما أنّ لها ارتباطًا بأسلوب القرآن.

٤- أنّ الجانب التطبيقي خير معين علىٰ الاستفادة من الأمور النظرية، ولذلك اختير سورة الملك لتكون النموذج التطبيقي لهذه الدراسة النظرية، فقد تعددت مقاصدها، وتنوعت أغراضها؛ لمّا اشتمل عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، والغلبة والغفران، والقهر علىٰ الأعداء، والترحم علىٰ الأولياء، وأنه لا يقدر أحد علىٰ من عاداه – سبحانه –، ورزق من منعه.

٥- أن سورة الملك قد ارتبطت بما قبلها وما بعدها ارتباطًا وثيقًا من حيث العلاقة الكلية من خلال بيان الوحدة الموضوعية بين السورتين، والأهداف الرئيسية بينهما، والعلاقة الجزئية عن طريق الربط بين مفتتح السورة وخاتمة ما قبلها، أو بين مفتتح السورتين.

٦- أن السورة الكريمة قد التحمت موضوعاتها التحامًا شديدًا، وأنّ وحدتها – والتي هي المعاقد الكلية في السورة – تتألف من: مقدمة، وأربعة محاور، وخاتمة، فالسورة الكريمة قد سارت في ترتيبها وآياتها وفقًا لخط جامع مرسوم، رسمه مربّي النفوس ومزكيها، ومنوّر العقول وهاديها، ومرشد الأرواح وحاديها.

٧- وتوصي الدراسة بجملة من التوصيات، أهمها:

٨- إبراز وجوه الإعجاز القرآني، وخاصة علم النظم: الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية

الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام.

٩- بيان طريقة النظم تعني استقامة المعنىٰ وتوضيح المفهوم من الكلام وربط بعضه ببعض بطريقة بالغة في الفهم والذكاء، والوسيلة هي: التحليل لمحتويات النص والكشف عن العلاقات والروابط.

١٠- التعويل علىٰ الجانب التطبيقي، وأنّ في ذلك استجابة لدعوة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله دراز، حيث قال: " اعمد إلىٰ سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنىٰ واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته - وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطئت أولاها لأخرها؟ "[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

كتبه راجي عفو ربّه الكريم

أحمد حسين مهدي الأكرت

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

(١) النبأ العظيم ١٨٧.

فهرس المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٤)١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٤) الأساس في التفسير سعيد حوىٰ، ط ٧: دار السلام- القاهرة : ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

٥) إعجاز القرآن الكريم د/ فضل حسن عباس، ت/ سناء فضل عباس، بدون بيانات.

٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، (٨)١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م .

٧) الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها للشيخ/ عبد الكريم الخطيب، ط: دار الفكر العربي، (١) ١٩٧٢م.

٨) الإعجاز في نظم القرآن أ د/ محمود السيد شيخون، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، (١) ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

٩) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنيّر، ضمن تفسير الكشاف، ت/ الشربيني شديدة، ط: دار الحديث القاهرة: ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

١٠) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، ط: دار الفكر- بيروت، عام ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.

١١) البرهان في تناسب سورة القرآن للغرناطي، ت/ محمد شعباني، ط: وزارة الأوقاف ـ المغرب، عام١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل، ط: دار الإحياء عيسىٰ الحلبي، (١) ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

١٣) بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ت/ محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – القاهرة، عام ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
١٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أد/ محمد حسنين أبو موسىٰ، ط: دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
١٥) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ط: دار الهداية، د.ت.
١٦) تأويلات أهل السنة للماتريدي، ت: د/ مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، عام ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥ م.
١٧) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور،ط:دار سحنون،تونس، د.ت.
١٨) التعريفات للجرجاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، (١) ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
١٩) تفسير ابن عرفة، ت/ جلال الأسيوطي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، (١) ٢٠٠٨م.
٢٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت/ هاني الحاج، ط: دار التوفيقية للتراث، عام ٢٠٠٩م.
٢١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، بدون تاريخ.
٢٢) تفسير المظهري، ت/ غلام نبي التونسي، ط: مكتبة الرشدية – الباكستان، عام ١٤١٢هـ.
٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ د / محمد سيد طنطاوي، ط: دار السعادة- القاهرة، عام ٢٠٠٧م.
٢٤) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد أ د/ عبد الغفور محمود مصطفىٰ جعفر، ط: دار السلام، (٢) ١٤٣٣هـ =٢٠١٢م.

٢٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، ط: دار المعارف- بمصر، (٣) ١٩٧٦م .
٢٦) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ت/ هاني الحاج وآخرون، ط: دار التوفيقية- القاهرة، بدون تاريخ.
٢٧) جواهر البيان في تناسب سور القرآن محمد صديق الغماري، ط: مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.
٢٨) حاشية ابن التمجيد علىٰ تفسير البيضاوي، ضمن حاشية القونوي علىٰ البيضاوي، ت/ عبد الله محمود عمر، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، (١)١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
٢٩) حاشية شيخ زاده علىٰ تفسير البيضاوي، ط: مكتبة الحقيقة، عام١٤١٩هـ=١٩٩١م.
٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ط: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.
٣١) دراسات في علوم القرآن الكريم د/ محمد بكر إسماعيل، ط: دار المنار، (٢) ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.
٣٢) درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، ت: د/ / محمد مصطفىٰ، ط: جامعة أم القرىٰ، (١)١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
٣٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت/ أبو فهر محمود محمد شاكر، ط: المدني بالقاهرة، (٣) ١٤١٣هـ =١٩٩٢م.
٣٤) روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقىٰ البرسوي، ط: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.
٣٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ط: دار التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٦) السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني، ط: بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام ١٢٨٥هـ.
٣٧) سنن الترمذي، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، (٢)١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.
٣٨) صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، (١)١٤٢٢هـ.
٣٩) عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، ت/ الشيخ: عبد الرزّاق المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، (١)١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
٤٠) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للكوراني، ت/ محمد مصطفي كوكصو، ط: جامعة صاقريا – تركيا، عام ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.
٤١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ت: د/ حمزة النشرتي، وآخرون، ط: دار النشرتي.
٤٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، ط: المَكتبة العصريَّة- بَيروت، عام ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
٤٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري، ت/ محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم- بيروت، (١)١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
٤٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، ت/ هاني الحاج، بدون تاريخ.
٤٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي علىٰ الكشاف، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١)١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
٤٦) فواتح سور القرآن الكريم أنواعها- ودلالتها،د.السيد إسماعيل علي سليمان، مكتبة الإيمان، ط: (٢) ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

٤٧) كتاب الحيوان للجاحظ، ت/ عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، ١٤١٦هـ =١٩٩٦م.
٤٨) لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، (٣)١٤١٤هـ.
٤٩) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، د/ فاضل صالح السامرائي.
٥٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١: دار الكتب العمية، بيروت، ١٤٢٢هـ .
٥١) مسند الإمام أحمد، ت/ : شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، (١)١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.
٥٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة، د.ت.
٥٣) مفاتيح الغيب للرازي، ت/ عماد زكي البارودي، ط: دار التوفيقية، عام ٢٠٠٣م.
٥٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ط: دار القلم- دمشق.
٥٥) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ للغزالي، ت/ سام عبد الوهاب الجابي، ط: الجفان والجابي – قبرص، (١)١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
٥٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ت/ أحمد بن علي، ط: دار الحديث- القاهرة، عام ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.
٥٧) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم أ د/ محمد عبد الله دراز، ت/ أحمد مصطفىٰ فضلية، ط: دار القلم – القاهرة، عام ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
٥٨) نظرية النّظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني أد/ محمود توفيق سعد.
٥٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧٨٣
الفصل الأول: النظم القرآني دلالته وعناصره (دراسة نظرية)	٧٩٠
المبحث الأول: مفهوم النظم القرآني وأهميته وعلاقته بالتفسير	٧٩٠
المطلب الأول: تعريف النظم لغة واصطلاحًا	٧٩٠
المطلب الثاني: أهمية دراسة النظم القرآني	٧٩١
المطلب الثالث: القائلون بأنّ النّظم أحد وجوه إعجاز القرآن	٧٩٢
المطلب الرابع: علاقة النّظم بالتفسير	٧٩٥
المبحث الثاني: عناصر النظم القرآني.	٧٩٨
المطلب الأول: المفردة القرآنية، وخصائصها	٧٩٨
المطلب الثاني: الجملة القرآنية: صياغتها وخصائصها.	٨٠٠
الفصل الثاني: النظم القرآني في سورة الملك (دراسة تطبيقية)	٨٠٦
التمهيد: مدخل لسورة الملك	٨٠٦
المبحث الأول: المقاصد التي اشتملت عليها السورة الكريمة	٨٠٩
المبحث الثاني: مناسبة سورة الملك لما قبلها وما بعدها	٨١٢
المطلب الأول: مناسبة (سورة الملك) لما قلبها(سورة التحريم)	٨١١
المطلب الثاني: مناسبة (سورة الملك)لما بعدها (سورة القلم)	٨١٨
المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة الملك	٨٢٢
المبحث الثالث: المعاقد الكلية في سورة الملك، وتآلف وحدتها	٨٢٣
المطلب الأول: المقدمة (إثبات قدرة الله)	٨٢٣
المطلب الثاني: المحاور الأربعة	٨٢٦

المحور الأول: بعض مظاهر القدرة الإلهية	٨٢٦
المحور الثاني: الترهيب والترغيب	٨٣٢
المحور الثالث: التهديد والوعيد للمكذبين	٨٤٣
المحور الرابع: إثبات البعث ووقوعه	٨٥٠
المطلب الثالث: خاتمة سورة الملك	٨٥٢
خاتمة البحث	٨٥٥
فهرس المصادر والمراجع	٨٥٨
فهرس الموضوعات	٨٦٣